بعد هرمز...
إيران تلوّح بخنق المنفذ النفطي الأخير للخليج

ص3

ثلاثة أسلحة تقود إسبانيا نحو نهائي المونديال

ص11

عزيزة العراقي
«فوتو طنجة» يمنح الصورة الفوتوغرافية روحها الخاصة

ص9

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
أسسها: أحمد الصالحين الهوني
الجمعة 2026/07/17 - 03 صفر 1448
السنة 49 العدد 13863
Friday 17/07/2026
49th Year, Issue 13863
www.alarab.co.uk

صفقة أسلحة أميركية تعزز الردع السعودي وسط اتساع ساحات المواجهة

الذخائر الموجهة تعزز قدرة المملكة على مواجهة التهديدات الصاروخية والمسيّرات

واشنطن - وافقت وزارة الخارجية الأميركية على صفقة أسلحة جديدة للمملكة العربية السعودية بقيمة تقديرية تبلغ 1.96 مليار دولار، في خطوة تعكس استمرار واشنطن في تعزيز القدرات الدفاعية لحليفها الخليجي، في وقت تشهد فيه منطقة الشرق الأوسط واحدة من أكثر مراحلها توترا خلال السنوات الأخيرة.

وتشمل الصفقة ما يصل إلى 20 ألف وحدة من أنظمة الأسلحة الفتاكة عالية الدقة ورؤوسها الحربية، وهي ذخائر مصممة لتنفيذ ضربات دقيقة مع تقليل الأضرار الجانبية. وأكدت الإدارة الأميركية أن الصفقة تهدف إلى دعم قدرة المملكة على مواجهة التهديدات الحالية والمستقبلية، وتعزيز التوافق العملياتي مع القوات الأميركية وقوات حلف شمال الأطلسي.

ورغم أن صفقات التسليح بين واشنطن والرياض ليست جديدة، فإن توقيت الإعلان يمنح هذه الصفقة دلالات سياسية وعسكرية تتجاوز قيمتها المالية أو طبيعة الأسلحة التي تتضمنها. فالمنطقة تشهد حاليا تصاعدا متزامنا على أكثر من جبهة، من المواجهة بين الولايات المتحدة وإيران، إلى التوترات المتجددة في البحر الأحمر، وصولا إلى مؤشرات انهيار التهدئة في اليمن بعد تبادل الضربات بين الحكومة اليمنية والحوثيين، ما يجعل أي خطوة لتعزيز القدرات العسكرية السعودية جزءا من مشهد إقليمي أوسع يعاد فيه رسم موازين الردع.

> واشنطن حريصة على تأكيد أن التزاماتها الأمنية تجاه شركائها لا تزال قائمة، وأنها مستمرة في تعزيز قدراتهم الدفاعية

ويأتي الإعلان الأميركي في وقت تبدو فيه السعودية أمام احتمال عودة المواجهة مع جماعة الحوثي، بعد استهداف مطار أبها بصواريخ أطلقها الحوثيون، ورد الحكومة اليمنية بعملية استهدفت مطار صنعاء الدولي، قالت إنها كانت تستهدف إجبار طائرة تقل وفدا حوثيا عائدا من إيران على تغيير مسارها.

وبينما حمّل الحوثيون الرياض مسؤولية الهجوم، أعادت هذه التطورات التذكير بأن الهدوء النسبي الذي خيم على الجبهة اليمنية خلال الفترة الماضية لا يعني انتهاء الصراع، بل ربما كان هدنة مؤقتة تسبق مرحلة جديدة من التصعيد.

وتكتسب الذخائر الدقيقة التي تشملها الصفقة أهمية خاصة، إذ أظهرت طبيعة الحرب في اليمن خلال السنوات الماضية أن المواجهات لم تعد تعتمد فقط على القوة النارية التقليدية، وإنما أيضا على القدرة على تنفيذ ضربات دقيقة ضد منصات إطلاق الصواريخ والطائرات المسيّرة ومخازن الأسلحة والأهداف المتحركة.

ولذلك، فإن حصول المملكة على كميات كبيرة من الذخائر الموجهة يعزز قدرتها على تنفيذ عمليات أكثر دقة وكفاءة إذا عادت العمليات العسكرية إلى وتيرتها السابقة.

لكن البعد اليمني ليس سوى أحد أوجه الصفقة، إذ يتزامن توقيتها أيضا مع تصاعد المواجهة المباشرة بين الولايات المتحدة وإيران، بعد توسع نطاق الهجمات المتبادلة وإعادة فرض حصار أميركي على الموانئ الإيرانية، وهو ما أعاد الخليج إلى واجهة التنافس العسكري بين الطرفين.

وفي ظل هذه التطورات تبدو واشنطن حريصة على توجيه رسالة واضحة مفادها أن التزاماتها الأمنية تجاه شركائها الإقليميين لا تزال قائمة، وأنها مستمرة في تعزيز قدراتهم الدفاعية رغم انشغالها بملفات دولية أخرى.

وتشير الصياغة التي استخدمتها وزارة الخارجية الأميركية إلى أن الصفقة تتجاوز بعدها التجاري، إذ وصفت السعودية بأنها "حليف رئيسي من خارج الناتو" وقوة دافعة للاستقرار السياسي والتقدم الاقتصادي في الخليج.

ويعكس هذا الوصف المكانة التي تحتلها المملكة في الإستراتيجية الأميركية الخاصة بالمنطقة، باعتبارها أحد أهم أركان منظومة الأمن الخليجي، وشريكا أساسيا في حماية الممرات البحرية وإمدادات الطاقة، فضلا عن دورها في مواجهة التهديدات التي تمثلها الجماعات المسلحة المدعومة من إيران.

كما تكشف طبيعة الأسلحة المشمولة بالصفقة عن تحول في فلسفة التسليح الأميركية تجاه شركائها. فبدلا من التركيز على المنصات العسكرية الثقيلة وحدها، بات الاهتمام يتجه إلى الذخائر الذكية وأنظمة الضربات الدقيقة، التي أصبحت تمثل أحد أهم عناصر الحروب الحديثة. وقد أثبتت الصراعات الأخيرة في الشرق الأوسط، سواء في اليمن أو غيره، أن امتلاك أسلحة دقيقة قادر على إحداث تأثير عملياتي أكبر بكثير من الاعتماد على القوة التقليدية وحدها، خاصة في مواجهة خصوم يعتمدون على تكتيكات الحرب غير النظامية واستخدام الطائرات المسيّرة والصواريخ قصيرة ومتوسطة المدى.

وتنسجم هذه الصفقة أيضا مع مسار تحديث القوات المسلحة السعودية خلال السنوات الأخيرة، الذي يقوم على إدخال أنظمة أكثر تطورا في مجالات القيادة والسيطرة والاتصالات والذكاء الاصطناعي، إلى جانب تطوير قدرات الدفاع الجوي والصاروخي.

التطورات الإقليمية تمنح الصفقة أبعادا تتجاوز قيمتها العسكرية

أزمة تسلح تدفع حزب الله إلى محاولة إحياء خط التهريب بغداد - دمشق - بيروت

دمشق - لم يعد الإعلان السوري عن إحباط محاولة تهريب أسلحة من العراق إلى لبنان مجرد حادثة أمنية عابرة، بل يحمل دلالات تتجاوز الشحنة المصادرة إلى ما تكشفه من محاولات إيرانية لإعادة تشغيل أحد أهم خطوط الإمداد العسكرية التي شكلت لعقود العمود الفقري لقدرات حزب الله العسكرية.

تعرض الممر الممتد من إيران إلى العراق ثم سوريا وصولا إلى لبنان، والذي كان يعرف داخل الأوساط العسكرية بـ"الجسر البري"، خلال العامين الماضيين لتفكك كبير نتيجة التحولات السياسية والعسكرية في سوريا، ما جعل أي محاولة لإحيائه مؤشرا على حجم الضغوط التي يواجهها الحزب في إعادة تسليح نفسه.

ويأتي إحباط الشحنة في وقت يعاني فيه حزب الله من استنزاف واسع لترسانته العسكرية بعد جولات القتال المتتالية مع إسرائيل، والتي ألحقت خسائر كبيرة بمخازنه ومنظوماته الصاروخية، في وقت باتت فيه عملية تعويض تلك الخسائر أكثر تعقيدا مقارنة بالسنوات السابقة.

ولم تكن عملية التهريب، وفق مراقبين، مجرد محاولة لنقل كمية من الأسلحة، بل اختبارا لإمكان إعادة فتح الممر التقليدي الذي كان يربط طهران ببيروت عبر بغداد ودمشق، وهو الخط الذي استخدمه الحرس الثوري الإيراني لسنوات في نقل الصواريخ والذخائر والطائرات المسيّرة والمعدات العسكرية، فضلا عن تنقل المقاتلين بين ساحات الصراع في العراق وسوريا ولبنان.

لكن هذا المسار فقد أهم حلقاته بعد سقوط نظام بشار الأسد وصعود سلطة سورية جديدة أعلنت منذ البداية رفضها تحويل الأراضي السورية إلى ممر لنقل السلاح أو منصة لخدمة النفوذ الإيراني في المنطقة، وهو تحول غيّر بصورة جوهرية البيئة التي اعتمد عليها حزب الله لعقدين من الزمن.

وأعلنت وكالة الأنباء السورية الرسمية "سانا" أن الوحدات المختصة أحبطت محاولة إدخال شحنة تضم أسلحة نوعية وصواريخ عبر الحدود السورية – العراقية، فيما أظهرت التحقيقات الأولية أن الشحنة كانت معدة للعبور عبر الأراضي السورية إلى لبنان لصالح حزب الله.

وتعد هذه المرة الأولى التي تعلن فيها السلطات السورية الجديدة ضبط شحنة أسلحة متجهة إلى الحزب عبر الحدود العراقية، بعدما كانت عمليات الضبط السابقة تقتصر على محاولات تهريب عبر الحدود اللبنانية – السورية.

ويشير هذا التطور إلى أن شبكات التهريب المرتبطة بالحرس الثوري الإيراني تحاول البحث عن مسارات بديلة بعد انهيار منظومة النقل التي كانت تعمل في ظل النظام السوري السابق، مستفيدة من وجود عدد كبير من الفصائل والميليشيات المسلحة الموالية لإيران داخل العراق، والتي ما زالت تشكل الحلقة الأولى في سلسلة الإمداد الإيرانية.

ويعتقد محللون أن اختيار الحدود العراقية هذه المرة يعكس محاولة للالتفاف على القيود الأمنية المتزايدة داخل سوريا، إلا أن نجاح دمشق في إحباط العملية يكشف في المقابل عن مستوى أعلى من التنسيق الأمني والرقابة على المعابر الشرقية، وهي منطقة كانت توصف سابقا بأنها الأكثر هشاشة أمام عمليات التهريب.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني
رئيس التحرير

التحالفات القديمة وحقائق الشرق الأوسط الجديد

في كل مرحلة تشهد فيها منطقة الشرق الأوسط تحولات كبرى، تعود الولايات المتحدة إلى السؤال نفسه: كيف يمكن بناء نظام إقليمي يضمن مصالحها الإستراتيجية ويحد من نفوذ خصومها؟ واليوم، يبدو أن هذا السؤال عاد إلى الواجهة من خلال مساع أميركية متجددة لإقناع دول الخليج العربي بإعادة تموضعها السياسي والأمني، والابتعاد تدريجيًا عن إيران، سواء عبر تقليص قنوات الحوار معها أو الحد من الانفتاح الاقتصادي والدبلوماسي الذي شهدته السنوات الأخيرة.

من منظور واشنطن، تبدو الفكرة واضحة؛ فكل تقارب خليجي مع طهران يخفف من أثر سياسة "الضغط الأقصى"، ويمنح إيران متنفسًا سياسيًا واقتصاديًا في لحظة تواجه فيها عقوبات غربية وضغوطًا متزايدة. أما بالنسبة إلى العواصم الخليجية، فالمعادلة أكثر تعقيدًا. فإيران ليست دولة بعيدة يمكن تجاهلها، بل جار دائم يتقاسم مع دول الخليج مياه الخليج العربي، ويتداخل معها في ملفات الطاقة والملاحة والأمن البحري، كما يتقاطع معها في أزمات تمتد من العراق إلى اليمن وسوريا ولبنان.

في الوقت الذي تتحدث فيه واشنطن عن بناء شرق أوسط أكثر استقرارًا، تعتمد في جزء مهم من إستراتيجيتها على استمرار سياسة الاحتواء والعقوبات، وهي سياسة أثبتت خلال العقود الماضية أنها نجحت في إضعاف الاقتصاد الإيراني، لكنها لم تنجح في إنهاء نفوذ طهران الإقليمي.

لذلك، فإن السؤال لم يعد ما إذا كانت الولايات المتحدة ترغب في تقليص نفوذ إيران، فهذا هدف ثابت في السياسة الأميركية، وإنما ما إذا كانت دول الخليج نفسها ترى أن القطيعة مع إيران تخدم مصالحها الوطنية.

لفهم هذا المشهد، لا بد من العودة إلى عام 1979، عندما غيّرت الثورة الإيرانية موازين القوى في المنطقة. فمنذ سقوط نظام الشاه وقيام الجمهورية الإسلامية، دخلت العلاقات الأميركية – الإيرانية في دوامة طويلة من القطيعة والمواجهة، بدأت بأزمة الرهائن في السفارة الأميركية في طهران، ثم تعمقت مع الحرب العراقية – الإيرانية.

ومع نهاية الحرب الباردة لم تتراجع أهمية الملف الإيراني بالنسبة إلى الولايات المتحدة، بل ازدادت. فغزو العراق عام 2003 أطاح بأحد أبرز موازين القوى التقليدية في المنطقة، لكنه أوجد في الوقت نفسه فراغًا إستراتيجيًا استفادت منه إيران لتوسيع نفوذها في العراق وسوريا ولبنان واليمن. ومنذ ذلك الحين، أصبح الحديث عن "النفوذ الإيراني" عنصرًا ثابتًا في الخطاب السياسي الأميركي، ومبررًا رئيسيًا للإبقاء على قواعد عسكرية وقوات بحرية وجوية في المنطقة.

وجاء الاتفاق النووي عام 2015 ليمنح العلاقات الأميركية–الإيرانية فرصة محدودة لإعادة الضبط، لكنه لم يغير طبيعة الصراع. فانسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق عام 2018 أعاد العلاقات إلى نقطة الصفر، وأطلق سياسة "الضغط الأقصى" على أمل دفع طهران إلى تغيير سلوكها الإقليمي وبرنامجها النووي.

غير أن السنوات اللاحقة كشفت حدود هذه المقاربة. فإيران لم تنهَر، كما لم تتراجع بصورة جوهرية عن سياساتها الإقليمية، بينما وجدت دول الخليج نفسها أمام واقع جديد يفرض عليها البحث عن وسائل لخفض التوتر.

اليوم، تنطلق واشنطن من دوافع تتجاوز الملف الإيراني نفسه. فهي ترى أن احتواء طهران ضرورة لحماية أمن إسرائيل، وضمان أمن طرق التجارة العالمية، وتأمين تدفق النفط والغاز، والحفاظ على موقعها في منطقة باتت تشهد حضورًا متزايدًا للصين وروسيا.

ولتحقيق هذه الأهداف، تستخدم الولايات المتحدة مجموعة واسعة من الأدوات. فالعقوبات الاقتصادية تبقى الوسيلة الأكثر حضورًا، إلى جانب بناء منظومات دفاعية مشتركة، وتعزيز التعاون الاستخباراتي، وتكثيف الرسائل الدبلوماسية والإعلامية التي تؤكد أن إيران تمثل مصدرًا دائمًا لعدم الاستقرار.

لكن هذه الرسائل تصطدم بحقيقة يصعب تجاوزها. فدول الخليج لم تعد تنظر إلى أمنها من زاوية المواجهة وحدها، بل من زاوية إدارة المخاطر أيضًا. فالتنمية الاقتصادية، وجذب الاستثمارات، وتنفيذ مشاريع التحول الوطني، تحتاج جميعها إلى بيئة إقليمية أكثر هدوءًا.

> دول الخليج لم تعد تقيس سياساتها الخارجية بمنطق «مع» أو «ضد» بل بمنطق المصالح الوطنية طويلة الأمد

من هنا، يمكن فهم التحولات التي شهدتها المنطقة خلال الأعوام الأخيرة، وفي مقدمتها استئناف العلاقات الدبلوماسية بين السعودية وإيران بوساطة صينية عام 2023.

ولا يعني ذلك أن الخلافات اختفت، أو أن الثقة أصبحت كاملة، وإنما يعني أن عددا من العواصم الخليجية بدأ يميز بين إدارة الخلاف مع إيران، وبين تحويل هذا الخلاف إلى مواجهة مفتوحة.

وتبدو المواقف الخليجية اليوم أكثر تنوعًا مما كانت عليه قبل عقد من الزمن، انطلاقًا من قناعة بأن الجغرافيا تفرض التعايش حتى في ظل الاختلافات السياسية.

كما أن الحرب في غزة، والتوترات في البحر الأحمر، والتطورات المرتبطة بالبرنامج النووي الإيراني، دفعت هذه الدول إلى إعادة تقييم أولوياتها. فقد أصبح واضحًا أن أي انفجار إقليمي واسع ستكون له انعكاسات مباشرة على الاقتصاد الخليجي، وعلى حركة التجارة العالمية التي تمر عبر مضيق هرمز وباب المندب.

وإذا نجحت واشنطن في إقناع حلفائها بالعودة إلى سياسة الاحتواء الصارمة، فقد يؤدي ذلك إلى إعادة تشكيل ميزان القوى الإقليمي بما يخدم المحور الأميركي–الإسرائيلي، لكنه سيحمل أيضًا مخاطر إعادة إنتاج دوائر التصعيد التي عرفتها المنطقة خلال العقود الماضية.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الجمعة 2026/07/17
السنة 49 العدد 13863

تبادل الضربات بين واشنطن وطهران يقرّب شبح الحرب الشاملة

حرب الاستنزاف تفرض معادلات جديدة في المنطقة

لم يعد التصعيد بين الولايات المتحدة وإيران مجرد تبادل محدود للرسائل العسكرية، بل أخذ يتحول تدريجيا إلى مواجهة مفتوحة تتسع رقعتها الجغرافية وتتعدد ساحاتها، من مضيق هرمز إلى القواعد الأميركية المنتشرة في الخليج، ما يثير المخاوف من انزلاق المنطقة إلى حرب شاملة، قد تعيد رسم قواعد الاشتباك الإقليمي، وتهدد أمن الطاقة العالمي.

سيناريوهات مفتوحة

واشنطن - دخلت المواجهة بين الولايات المتحدة وإيران مرحلة أكثر خطورة بعدما تبادل الطرفان ضربات عسكرية واسعة، إذ شنت واشنطن موجتين من الهجمات، الأربعاء، استهدفتا الدفاعات الجوية ومنصات الصواريخ الساحلية الإيرانية، بينما ردت طهران بقصف مواقع عسكرية أميركية في عدد من دول المنطقة، في تصعيد أعاد إلى الواجهة احتمالات الانزلاق نحو حرب شاملة، بعد أيام فقط من انهيار هدنة هشة كانت قد خفضت مستوى المواجهة مؤقتا.

ويعكس هذا التصعيد انتقال المواجهة من سياسة الضغوط العسكرية المحدودة إلى صراع أكثر اتساعا، بات يشمل الممرات البحرية والقواعد العسكرية والبنية الدفاعية الإيرانية، وسط مخاوف متزايدة من امتداد الحرب إلى أطراف إقليمية أخرى، بما يحمله ذلك من تداعيات على أمن الخليج واستقرار أسواق الطاقة العالمية.

ويأتي التصعيد الأخير بعد إعلان إيران إغلاق مضيق هرمز، وهو القرار الذي دفع الولايات المتحدة إلى إعادة فرض حصار بحري على الموانئ الإيرانية، في محاولة لإعادة فتح الممر الملاحي الذي يمر عبره نحو خمس تجارة النفط والغاز العالمية.

ولم تكتف واشنطن بتشديد الحصار البحري، بل انتقلت إلى تنفيذ ضربات مباشرة استهدفت مواقع الصواريخ والدفاعات الساحلية في جزيرة طنب الكبرى، قبل أن توسع عملياتها لتشمل بندر عباس، التي تعد القاعدة الرئيسية للبحرية الإيرانية وأحد أهم مراكز الحرس الثوري، إلى جانب أهداف أخرى في جنوب البلاد.

وتشير طبيعة الأهداف الأميركية إلى أن واشنطن لم تعد تركز فقط على حماية الملاحة الدولية، بل باتت تسعى إلى تقويض القدرات العسكرية الإيرانية التي يمكن أن تعيق أي عمليات بحرية مستقبلية أو تشكل تهديدا للقوات الأميركية وحلفائها في الخليج.

كما يوحي استهداف مراكز القيادة ومنشآت الرادار ومنصات إطلاق صواريخ كروز والطائرات المسيّرة بأن الإدارة الأميركية تسعى إلى إضعاف قدرة إيران على إدارة حرب استنزاف طويلة، وتقليص هامش المناورة أمام قواتها البحرية والجوية في حال توسعت المواجهة.

> اتساع العمليات العسكرية قد يؤدي إلى ارتفاعات أكبر في أسعار النفط والغاز، بما ينعكس على معدلات التضخم

وفي المقابل، حمل الرد الإيراني رسالة واضحة بأن طهران قررت توسيع نطاق المواجهة وعدم حصرها داخل أراضيها. فقد أعلن الحرس الثوري استهداف مواقع عسكرية أميركية في البحرين والكويت والأردن باستخدام الصواريخ والطائرات المسيّرة، مؤكدا أن أي استهداف لإيران سيقابله استهداف مباشر للمصالح والقواعد الأميركية في المنطقة.

ويكشف هذا التطور عن تحول واضح في قواعد الاشتباك، إذ لم تعد المواجهة مقتصرة على الأراضي الإيرانية أو المياه الإقليمية، بل امتدت إلى القواعد العسكرية الأميركية المنتشرة في الخليج، وهو ما يرفع مستوى المخاطر أمام الدول المستضيفة لهذه القواعد، ويزيد احتمالات اتساع دائرة الصراع إذا أسفرت الهجمات عن خسائر بشرية كبيرة.

وفي الوقت ذاته، لا يزال مضيق هرمز يمثل محور الصراع الرئيسي بين الجانبين. فإيران تعتبر السيطرة على المضيق إحدى أهم أوراق الضغط الاستراتيجية التي تمتلكها، وترى أن أمنه يجب أن يخضع لما تسميه "الترتيبات الإيرانية". وفي المقابل، تتمسك الولايات المتحدة بحرية الملاحة في المضيق باعتبارها قضية تتصل بأمن الاقتصاد العالمي وسلاسل إمدادات الطاقة، وليس فقط بأمن الخليج.

ويرى مراقبون أن استمرار إغلاق مضيق هرمز، أو تصاعد العمليات العسكرية في محيطه، قد يدفع أسعار النفط والغاز إلى موجة ارتفاع جديدة، بما ينعكس على معدلات التضخم والنمو الاقتصادي، ويزيد الضغوط على الاقتصادات المستوردة للطاقة.

وانعكس هذا التصعيد سريعا على أسواق الطاقة، إذ ارتفعت أسعار النفط إلى أعلى مستوياتها خلال شهر، مع تصاعد المخاوف من تعطل حركة الملاحة في المضيق، واحتمال اضطراب الإمدادات العالمية إذا طال أمد المواجهة.

وفي الميدان، أظهرت الضربات الأميركية أن العمليات العسكرية لم تعد تقتصر على المنشآت العسكرية البحتة، إذ تحدثت وسائل إعلام إيرانية عن انفجارات في عدد من المدن الساحلية، بينها بندر عباس وكنارك وقشم وسيريك، إضافة إلى الأهواز وخنداب، فيما أعلنت السلطات الإيرانية تفعيل الدفاعات الجوية في العاصمة طهران.

كما أثارت التقارير عن وقوع هجمات قرب مستشفى يضم مركزا لعلاج سرطان الأطفال في الأهواز مخاوف من اتساع الآثار الإنسانية للحرب، مع اضطرار المرضى وعائلاتهم إلى إخلاء المستشفى مؤقتا.

ورغم التصعيد العسكري، لم تُغلق قنوات الرسائل السياسية بالكامل. فقد أكد الرئيس الأميركي دونالد ترامب أن إيران "تريد بشدة التوصل إلى تسوية"، مشيرا إلى استمرار الاتصالات بين المفاوضين الأميركيين ونظرائهم الإيرانيين، لكنه شدد في المقابل على أن الولايات المتحدة مستعدة للمضي في الحرب إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق، قائلا إن إيران "ستهزم قريبا جدا".

وفي المقابل، تبنى المسؤولون الإيرانيون خطابا أكثر تشددا، إذ وصف رئيس البرلمان وكبير المفاوضين محمد باقر قاليباف المواجهة بأنها "حرب بقاء"، مؤكدا أن أمن إيران يرتبط بالحفاظ على سيادتها في مضيق هرمز.

كما ربطت طهران إعادة فتح المضيق بالتزام الولايات المتحدة بمذكرة التفاهم التي وقعها الطرفان في يونيو، وهو ما يشير إلى أن إيران تحاول استخدام ورقة الملاحة البحرية ليس فقط أداة ضغط عسكرية، وإنما أيضا ورقة تفاوضية لتحسين موقعها في أي مفاوضات مقبلة.

وفي خضم هذه الأجواء، برزت إشارة محدودة إلى إمكانية إبقاء نافذة للحوار مفتوحة، بعدما أعلن ترامب أن إيران سمحت بمغادرة مواطنة أميركية كانت ممنوعة من السفر منذ عام 2024، واعتبر ذلك "بادرة حسن نية". غير أن هذه الخطوة تبدو حتى الآن غير كافية لتغيير مسار التصعيد، في ظل استمرار العمليات العسكرية واتساع نطاقها.

المغرب وفرنسا ترسخان شراكتهما باجتماع وزاري رفيع المستوى

الرباط - عقد رئيسا وزراء المغرب وفرنسا الخميس في الرباط اجتماعا وزاريا رفيع المستوى، في سياق تعزيز الشراكة بين البلدين، قبل زيارة مرتقبة للملك محمد السادس إلى باريس.

وسجّلت العلاقات بين فرنسا والمغرب تحسنا منذ اعتراف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بالسيادة المغربية على الصحراء في صيف 2024.

وفي أكتوبر من العام نفسه، استُقبل ماكرون بحفاوة في الرباط خلال زيارة رسمية أنهت ثلاث سنوات من الفتور النسبي.

وأجرى رئيس الوزراء المغربي عزيز أخنوش مباحثات ثنائية مع نظيره سيباستيان لوكورنو، في افتتاح الدورة الخامسة عشرة للاجتماع بين حكومتي البلدين، بعدما وصل المسؤول الفرنسي الرباط ليل الأربعاء برفقة 12 وزيرا من بينهم وزير الخارجية جان نويل بارو ووزير الداخلية لوران نونيز.

ونجح المغرب منذ اعتراف الولايات المتحدة بسيادته على صحرائه أواخر العام 2020، في انتزاع موقف مماثل من فرنسا العضو الدائم في مجلس الأمن، وكذلك من الكثير من بلدان العالم في مختف قاراته وذلك بفضل دبلوماسية مغربية نشطة وفعالة.

وقال عزيز أخنوش عند افتتاح القمة إنها "فرصة لتقييم ما أنجز وتسريع تنفيذ الالتزامات المسطرة في إطار الشراكة الاستثنائية الوطيدة".

ويرتقب أن يُجري العاهل المغربي زيارة دولة لفرنسا من أجل توقيع معاهدة مغربية فرنسية، وفق ما أعلن وزيرا خارجية البلدين في مايو الماضي بالرباط.

وقال لوكورنو إن هذه الزيارة المرتقبة يمكن أن تسفر عن "توقيع معاهدة صداقة فريدة من نوعها" تتجاوز اتفاقيات "الشراكة الاستثنائية الوطيدة" التي أُبرمت خلال زيارة ماكرون للرباط في العام 2024.

وأكد أن حكومته تريد الذهاب أبعد في علاقاتها مع المغرب لا سيما في ما يخص قضايا الأمن ومكافحة الإرهاب الذي أثبتت المملكة المغربية باعها الطويل في محاربته، مشيرا إلى "المصالح المشتركة" بين البلدين في القارة الإفريقية.

زيارة مرتقبة من الملك محمد السادس إلى فرنسا ينتظر أن تسفر عن توقيع معاهدة صداقة فريدة من نوعها بين الرباط وباريس تتجاوز اتفاقيات الشراكة الاستثنائية الوطيدة.

وتراهن فرنسا على تقوية علاقاتها مع المغرب، لا سيما في ما يخص الأوضاع الأمنية في منطقة الساحل الإفريقي.

وينتظر أن تتوج القمة الوزارية الخميس بتوقيع نحو 15 اتفاق تعاون في مجالات الاقتصاد والأمن والدفاع والهجرة، وفق ما أفاد مصدر دبلوماسي.

وأشار المصدر إلى أن هذه الاتفاقات تتضمن مشاريع في قطاعات بينها شبكة قطارات في العاصمة ومحيطها، وتعاون في مجال التسلح والطيران المدني والمياه والكهرباء والثقافة.

واعتبر أخنوش رئيس الحكومة المغربية أن اللجنة العليا المشتركة للتعاون تمثل آلية لتنفيذ "الشراكة الاستثنائية" بين بلاده وفرنسا.

وقال أخنوش إن اللجنة العليا للتعاون تمثل "آلية حكومية لتتبع وقيادة تنزيل الشراكة الاستثنائية الوطيدة" بين البلدين.

وأضاف أن الاجتماع يمثل فرصة لتقييم التقدم المحرز في تنفيذ الالتزامات بين البلدين، وتحديد مشاريع جديدة ترسم آفاق المرحلة المقبلة من العلاقات الثنائية.

وتابع أن انعقاد الدورة الحالية يكتسب أهمية خاصة في ظل الدينامية الجديدة التي تشهدها العلاقات بين الرباط وباريس.

وأوضح أن هذه الدينامية انطلقت بمبادرة مشتركة من العاهل المغربي الملك محمد السادس والرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، خلال زيارة الأخير إلى المملكة في أكتوبر 2024. وتُوجت الزيارة بتوقيع "إعلان الشراكة الاستثنائية الوطيدة" بين البلدين.

تطور إيجابي للعلاقة من الفتور إلى التواصل والتعاون

الحملة على الفساد في العراق تنتقل إلى مرحلة استهداف الرؤوس الكبيرة

أحكام قضائية ومصادرات مالية تعكس محاولة تفكيك شبكات النفوذ داخل الدولة

بغداد - لم تعد حملة مكافحة الفساد في العراق تقتصر على ملاحقة الموظفين الصغار أو الملفات الإدارية التقليدية، بل بدأت تنتقل تدريجيا إلى مستويات أعلى مع صدور أحكام قضائية بحق مسؤولين ونواب، وفتح ملفات مرتبطة بشبكات مالية معقدة يُشتبه في امتدادها داخل مؤسسات الدولة.

وفي أحدث تطورات هذه الحملة، أعلنت هيئة النزاهة الاتحادية صدور حكم حضوري بالحبس النافذ لمدة عامين بحق عضو مجلس النواب محمد ناصر دلي الكربولي، بعد إدانته بجريمة تلقي رشوة واستغلال النفوذ الوظيفي، في قضية تعكس الاتجاه الجديد للحملة التي تؤكد السلطات أنها تستهدف أصحاب المواقع السياسية والوظيفية، وليس فقط حلقات الفساد الدنيا.

وجاء الحكم في وقت يواصل فيه رئيس الوزراء علي الزيدي الدفع باتجاه حملة واسعة ضد الفساد المالي والإداري، متعهدا بأن تشمل جميع المتورطين من دون النظر إلى انتماءاتهم السياسية أو خلفياتهم العرقية والطائفية أو مواقعهم الاجتماعية والحزبية.

وقال الزيدي إن معيار الحملة سيكون حجم التجاوز على المال العام والقانون، وليس موقع الشخص أو الجهة التي ينتمي إليها، في رسالة تهدف إلى التأكيد على أن مكافحة الفساد ستكون جزءا من مشروع إصلاح مؤسسات الدولة وليس مجرد إجراءات انتقائية تستهدف طرفا دون آخر.

وبحسب هيئة النزاهة، فإن محكمة جنايات مكافحة الفساد المركزية أصدرت حكما بالسجن الشديد لمدة سنتين بحق الكربولي، إضافة إلى غرامة مالية قدرها 10 ملايين دينار عراقي، أي ما يعادل نحو 7600 دولار، بعد ثبوت تورطه في طلب مبلغ مالي مقابل التدخل لإغلاق لجان تحقيقية بحق أحد الأشخاص في مديرية تربية الكرخ الأولى ببغداد.

وأوضحت الهيئة أن النائب طلب مبلغ 50 ألف دولار مقابل استخدام نفوذه لإيقاف الإجراءات المتخذة بحق مدير إحدى المدارس والإبقاء عليه في منصبه، مشيرة إلى أن المحكمة اعتمدت في قرارها على مجموعة من الأدلة والاعترافات والقرائن التي اعتبرتها كافية لإدانة المتهم.

ويرى مراقبون أن أهمية الحكم لا ترتبط فقط بالقضية نفسها، وإنما بكونه يأتي ضمن مسار أوسع تحاول من خلاله الحكومة العراقية إظهار قدرتها على الوصول إلى شخصيات سياسية ومسؤولين كانوا يتمتعون في السابق بدرجات مختلفة من الحماية بفعل النفوذ الحزبي أو العلاقات السياسية.

وخلال الأسابيع الماضية شهد العراق حملة أمنية وقضائية متسارعة طالت عشرات المسؤولين والموظفين والنواب، مع رفع الحصانة عن بعض الشخصيات البرلمانية للسماح بإجراء التحقيقات اللازمة، في خطوة اعتُبرت مؤشرا على انتقال ملف مكافحة الفساد من مرحلة التصريحات السياسية إلى مرحلة الإجراءات التنفيذية.

ويبرز ضمن الملفات المفتوحة حاليا ملف وكيل وزارة النفط السابق عدنان الجميلي، الذي أوقف على خلفية شبهات تتعلق بهدر المال العام وإبرام عقود مخالفة للقانون، بعد إقالته من منصبه في يونيو الماضي.

> علي الزيدي يلتزم بأن تطال حملة مكافحة الفساد جميع المتورطين دون تمييز على أساس عرقي أو طائفي أو حزبي

وقد اتسعت التحقيقات في هذه القضية بعدما أعلنت السلطات العراقية ضبط مبالغ مالية كبيرة ومقتنيات ثمينة يشتبه في ارتباطها بعائدات فساد. وأعلن القضاء العراقي، الخميس، ضبط 25 مليار دينار عراقي، أي نحو 19 مليون دولار، إضافة إلى 200 ألف دولار وأربعة كيلوغرامات من الذهب.

وأوضح مجلس القضاء الأعلى أن جزءا من الأموال المضبوطة كان مودعا لدى عدد من الأشخاص، فيما عُثر على جزء آخر مخبأ داخل جدران عدد من المنازل خلال عمليات التفتيش المرتبطة بالتحقيقات.

كما أعلن القضاء في وقت سابق استرداد 375 كيلوغراما من الذهب ضمن التحقيقات ذاتها، من بينها 358 كيلوغراما مرتبطة مباشرة بملف الجميلي، و17 كيلوغراما ضمن قضية أخرى، وذلك بالتنسيق مع سلطات إقليم كردستان وإشراف رئيس مجلس القضاء الأعلى.

ولم تتوقف الإجراءات عند الأموال النقدية والمعادن الثمينة، إذ سبق أن أعلنت السلطات الحجز على عقارات ومعامل تقدر قيمتها بنحو 69 مليار دينار عراقي، ضمن مساعي تتبع الأصول التي يشتبه في أنها تكونت من خلال عمليات فساد أو استغلال للوظيفة العامة.

العراقيون يتطلعون إلى أن تتحول النزاهة من شعار إلى واقع

العرب
الجمعة 2026/07/17
السنة 49 العدد 13863

بعد هرمز... إيران تلوّح بخنق المنفذ النفطي الأخير للخليج

ميناء ينبع من منفذ احتياط إلى حلقة حاسمة في معادلة الطاقة العالمية

لم يعد مضيق هرمز وحده محور معركة الطاقة التي تخوضها إيران مع الولايات المتحدة وحلفائها، فمع انتقال جزء كبير من صادرات النفط الخليجية إلى البحر الأحمر، اكتسب مضيق باب المندب وميناء ينبع السعودي أهمية استراتيجية غير مسبوقة. وفي هذا السياق، تلوّح طهران باستخدام ورقة الحوثيين لتهديد هذا الشريان البديل، في محاولة لحرمان الأسواق العالمية من آخر منفذ آمن.

طهران - لم تعد المواجهة بين إيران والولايات المتحدة وإسرائيل تدور حول مضيق هرمز وحده، بعدما بدأت طهران توجّه رسائل واضحة بأن خياراتها لتوسيع حرب الطاقة تمتد إلى مضيق باب المندب، البوابة الجنوبية للبحر الأحمر، عبر الذراع الحوثية في اليمن. ويكشف هذا التهديد تحولا في الاستراتيجية الإيرانية من الضغط على ممر واحد إلى السعي لإرباك منظومة تصدير النفط الخليجية بأكملها، مستفيدة من موقع حلفائها على واحد من أهم الممرات البحرية في العالم.

وتزداد خطورة هذه الرسائل في توقيت بالغ الحساسية، إذ أصبح البحر الأحمر هو المسار البديل الرئيسي لصادرات النفط الخليجية بعد تعطل الملاحة في مضيق هرمز نتيجة المواجهة العسكرية التي اندلعت عقب الضربات الأميركية والإسرائيلية على إيران في الثامن والعشرين من فبراير. وبذلك، فإن أي اضطراب في باب المندب لن يعني مجرد أزمة ملاحية جديدة، بل سيهدد آخر منفذ عملي لتدفق النفط الخليجي إلى الأسواق العالمية.

وأدى إغلاق إيران لمضيق هرمز إلى تعطيل الجزء الأكبر من صادرات النفط والطاقة من الخليج، وهو ما دفع المنتجين، وفي مقدمتهم السعودية، إلى إعادة رسم خريطة صادراتهم بصورة عاجلة. ولم يكن أمام الرياض سوى الاعتماد بصورة أكبر على خط الأنابيب الذي ينقل الخام من المنطقة الشرقية إلى ميناء ينبع على البحر الأحمر، لتتحول المدينة الساحلية في غضون أسابيع إلى محور رئيسي في أمن الطاقة العالمي.

وتعكس أرقام الشحن حجم هذا التحول. فقد ارتفع متوسط صادرات النفط المنطلقة من ميناء ينبع إلى نحو أربعة ملايين برميل يوميا خلال الأسابيع الأخيرة، مقارنة بنحو 973 ألف برميل يوميا فقط خلال الفترة نفسها من العام الماضي، في زيادة تعكس انتقال جزء كبير من الصادرات السعودية إلى البحر الأحمر هربا من المخاطر في الخليج.

كما ارتفع إجمالي كميات النفط العابرة عبر مضيق باب المندب إلى نحو 7.4 مليون برميل يوميا، أي ما يعادل قرابة سبعة في المئة من الإنتاج العالمي، بعدما كان يبلغ 4.2 مليون برميل فقط قبل عام. وهذا يعني أن الممر الذي كان يمثل طريقا تجاريا مهما أصبح اليوم جزءا أساسيا من البنية الأمنية لسوق الطاقة العالمية.

> الجمع في الإغلاق بين مضيق هرمز وباب المندب يعني إدخال الاقتصاد العالمي في أزمة إمدادات غير مسبوقة

وفي هذا السياق، لم يعد ميناء ينبع مجرد منفذ تصدير إضافي، بل تحول إلى صمام أمان للاقتصاد الخليجي وللأسواق الدولية. لذلك فإن أي تهديد للملاحة في البحر الأحمر ستكون له انعكاسات تتجاوز حدود المنطقة، لأنه سيحرم الأسواق من البديل الوحيد المتاح حاليا بعد تعطل هرمز.

وتدرك طهران هذه المعادلة جيدا. فإغلاق مضيق هرمز وحده يمنحها ورقة ضغط مؤثرة، أما الجمع بين هرمز وباب المندب في معادلة واحدة فيعني إدخال الاقتصاد العالمي في أزمة إمدادات غير مسبوقة، ورفع تكلفة نقل النفط إلى مستويات قد تدفع الأسعار إلى موجات صعود حادة، حتى لو لم تتوقف الإمدادات بصورة كاملة.

ومن هنا جاءت التهديدات الأخيرة الصادرة عن الحوثيين، الذين لوحوا بإغلاق باب المندب إذا استمرت الضربات الأميركية على إيران. فقد أعلن محمد الفرح، عضو المكتب السياسي للجماعة، أن المضيق قد يصبح خارج الخدمة إذا لم تتراجع واشنطن عن عملياتها العسكرية، بينما سبق لزعيم الجماعة عبدالملك الحوثي أن أكد استعداد قواته للتدخل متى اقتضت التطورات ذلك.

وتبدو هذه التصريحات متسقة مع رسائل القيادة الإيرانية. فقد حذر قائد فيلق القدس إسماعيل قاآني من أن الحوثيين يمتلكون القدرة على منع الدخول إلى البحر الأحمر، في إشارة إلى أن الجماعة لم تعد مجرد فاعل يمني، بل أصبحت جزءا من منظومة الردع الإقليمية التي تعتمد عليها طهران في إدارة صراعاتها مع الولايات المتحدة.

ولا يقتصر الخطر على احتمال إغلاق المضيق بصورة كاملة، إذ يكفي تنفيذ هجمات متكررة بالصواريخ والطائرات المسيّرة ضد السفن التجارية أو ناقلات النفط أو حتى الموانئ ومنشآت التخزين، لإحداث اضطراب واسع في حركة الملاحة. فأسواق الطاقة لا تتأثر فقط بالإمدادات الفعلية، وإنما أيضا بدرجة المخاطر التي تواجه عمليات النقل والتأمين.

وقد أثبتت تجربة البحر الأحمر منذ أواخر عام 2023 حساسية هذا الممر. فالهجمات التي شنها الحوثيون آنذاك دفعت كبريات شركات الشحن، مثل ميرسك وهاباغ - لويد، إلى تجنب قناة السويس والبحر الأحمر والالتفاف حول رأس الرجاء الصالح، وهو ما رفع تكاليف النقل وأطال زمن وصول البضائع إلى الأسواق الأوروبية والآسيوية.

لكن الفارق الجوهري بين تلك المرحلة والوضع الحالي يتمثل في أن النفط الخليجي آنذاك كان لا يزال يتدفق بصورة طبيعية عبر مضيق هرمز، بينما أصبحت صادرات مهمة اليوم تنطلق مباشرة من البحر الأحمر. وبالتالي فإن تعطيل باب المندب في الظروف الحالية ستكون تداعياته أكثر اتساعا، لأنه سيصيب مسارا يعتمد عليه المنتجون بصورة مباشرة، وليس مجرد طريق ملاحي بديل.

ولهذا السبب بدأت السعودية دراسة زيادة الطاقة الاستيعابية لخط الأنابيب الممتد إلى ساحل البحر الأحمر، في خطوة تعكس إدراكها أن الاعتماد على هذا المسار قد يطول إذا استمرت الأزمة مع إيران. غير أن توسيع البنية التحتية لن يحل المشكلة إذا أصبحت الملاحة نفسها مهددة في باب المندب.

ورغم أن الحوثيين يؤكدون أنهم ليسوا وكلاء لإيران وأن قرارهم مستقل، فإن واشنطن ترى أن الجماعة تلقت على مدى سنوات دعما ماليا وعسكريا وتقنيا من طهران، فضلا عن التدريب الذي وفره الحرس الثوري وحزب الله، وهو ما مكّنها من تطوير ترسانة من الصواريخ والطائرات المسيّرة والأسلحة البحرية القادرة على تهديد السفن في البحر الأحمر.

وفي المقابل، يتميز النموذج الحوثي عن بقية مكونات ما يسمى "محور المقاومة" بقدر أكبر من الاستقلالية في القرار السياسي، إذ لا يعترف الحوثيون بالمرجعية الدينية للمرشد الإيراني كما هو حال حزب الله وبعض الفصائل العراقية. لكن هذا لا ينفي أن مصالح الطرفين تتقاطع بصورة كبيرة عندما يتعلق الأمر بمواجهة الولايات المتحدة أو ممارسة الضغط على خصوم إيران الإقليميين.

وخلال الأشهر الأولى من الحرب الأخيرة، بدا الحوثيون أقل انخراطا مقارنة بحزب الله والفصائل العراقية، واكتفوا بعدد محدود من الهجمات ضد إسرائيل، ما فسره مراقبون بأنه محاولة للاحتفاظ بورقة باب المندب إلى مرحلة يكون فيها تأثير استخدامها أكبر، أو تجنب نسف التهدئة الطويلة مع السعودية قبل اتضاح اتجاهات الصراع.

إلا أن التطورات الأخيرة توحي بأن هذا التحفظ بدأ يتراجع، خصوصا بعد استهداف مطار صنعاء ومنع هبوط طائرة إيرانية، ثم تبادل الاتهامات والضربات بين الحوثيين والسعودية، وهو ما يعيد الجبهة اليمنية إلى قلب الصراع الإقليمي بعد فترة من الهدوء النسبي.

وفي المحصلة، لا يبدو التهديد الإيراني لباب المندب مجرد تصعيد إعلامي، بل يدخل ضمن استراتيجية أوسع تقوم على توسيع ساحات الضغط كلما ازدادت الضغوط العسكرية على طهران. وإذا كان مضيق هرمز يمثل الورقة التقليدية لإيران في مواجهة الغرب، فإن باب المندب أصبح الورقة المكملة التي قد تمنحها قدرة أكبر على تهديد أمن الطاقة العالمي. غير أن استخدام هاتين الورقتين معا يحمل أيضا مخاطر كبيرة على إيران وحلفائها، لأنه قد يدفع الولايات المتحدة وشركاءها إلى توسيع عملياتهم العسكرية لتأمين الممرات البحرية، ما يجعل البحر الأحمر مرشحا لأن يتحول إلى ساحة المواجهة التالية في حرب تتجاوز حدود الإقليم إلى قلب الاقتصاد العالمي.

هل يتجرأ الحوثيون على استهداف باب المندب

المناطق العازلة... العقيدة الإسرائيلية الجديدة لإدارة الصراعات

سياسة تحوّل الإجراءات المؤقتة إلى وقائع يصعب التراجع عنها

واشنطن - لم تعد المناطق العازلة في العقيدة الأمنية الإسرائيلية مجرد تدبير عسكري مؤقت فرضته ظروف الحرب، بل باتت تتبلور باعتبارها إستراتيجية طويلة الأمد لإدارة الحدود مع دول الجوار.

وبعد أكثر من عامين ونصف العام على هجوم السابع من أكتوبر 2023، والحرب على غزة، والمواجهات مع حزب الله، ثم الحرب مع إيران، تبدو إسرائيل أكثر اقتناعًا بأن أمنها لا يتحقق بالاعتماد على اتفاقات وقف إطلاق النار أو الضمانات الدولية، وإنما بفرض وقائع ميدانية جديدة خارج حدودها.

غير أن هذا التحول، الذي يُقدَّم داخل إسرائيل بوصفه ضرورة أمنية، يحمل في المقابل مخاطر إطالة أمد الصراعات الإقليمية، وتحويل الإجراءات المؤقتة إلى نزاعات حدودية مزمنة.

وتتجسد هذه المقاربة اليوم في ثلاث ساحات رئيسية هي غزة ولبنان وسوريا، حيث تتكرر الفلسفة ذاتها، وإن اختلفت أدوات التنفيذ. فبدلًا من الاكتفاء بردع الخصوم، تتجه إسرائيل إلى خلق "عمق أمني" عبر السيطرة على مساحات حدودية، وتقييد حركة السكان فيها، وربط أي انسحاب منها بشروط يصعب على الطرف الآخر تحقيقها.

وبذلك، تصبح المنطقة العازلة ليست وسيلة لإنهاء التهديد، بل آلية لإدارته بصورة دائمة.

ويمثل هذا التحول تغييرًا واضحًا في العقيدة الأمنية الإسرائيلية. فمنذ عقود، اعتمدت إسرائيل على مزيج من الردع العسكري، والتفوق الاستخباراتي، والاتفاقات الأمنية، مع الاحتفاظ بحق تنفيذ عمليات استباقية عند الضرورة.

لكن هجوم السابع من أكتوبر أحدث صدمة عميقة داخل المؤسسة الأمنية، بعدما أثبت أن الردع وحده لم يمنع الفصائل المسلحة من تنفيذ هجوم واسع النطاق.

ومنذ ذلك الحين أخذ مفهوم "الدفاع المتقدم" يفرض نفسه باعتباره البديل. ويقوم هذا المفهوم على إبعاد مصادر التهديد عن الحدود الإسرائيلية، من خلال السيطرة المباشرة على المناطق المقابلة، ومنع الجماعات المسلحة من إعادة بناء قدراتها العسكرية بالقرب من المستوطنات والبلدات الحدودية.

كما تستند هذه الرؤية إلى قناعة متزايدة بأن الدول المجاورة، سواء بسبب ضعف مؤسساتها أو انقسامها الداخلي، لم تعد قادرة على فرض الترتيبات الأمنية التي تلتزم بها على الورق، الأمر الذي يدفع إسرائيل إلى تولي هذه المهمة بنفسها.

وكانت غزة الساحة الأولى التي طُبقت فيها هذه المقاربة على نطاق واسع. فبعد وقف إطلاق النار لم يقتصر الأمر على تثبيت خطوط انتشار القوات الإسرائيلية، بل جرى إنشاء مناطق واسعة مغلقة شرق القطاع، أزيلت فيها مبانٍ وطرق وأراضٍ زراعية بدعوى منع عودة حماس إلى مواقع إطلاق الصواريخ أو حفر الأنفاق.

وبذلك تحولت المنطقة العازلة من شريط أمني محدود إلى أداة لإعادة تشكيل الجغرافيا السكانية والعمرانية في القطاع، حيث تقلصت مساحة الأراضي المتاحة للفلسطينيين، ودُفعت الكثافة السكانية نحو الغرب، بينما أصبحت الحدود الفاصلة بين الانتشار العسكري المؤقت والسيطرة المستدامة أكثر غموضًا. ويرى مراقبون أن مثل هذه الوقائع تجعل أي مفاوضات مستقبلية أكثر تعقيدًا، لأن النقاش لن يدور فقط حول وقف إطلاق النار، بل أيضًا حول مصير الأراضي التي أصبحت خاضعة للسيطرة الإسرائيلية.

وفي جنوب لبنان تتكرر المقاربة نفسها، ولكن ضمن سياق أكثر تعقيدًا. فإسرائيل تشترط انسحاب حزب الله إلى شمال نهر الليطاني ونزع سلاحه قبل الانسحاب الكامل من الأراضي اللبنانية. إلا أن هذه الشروط تصطدم بواقع سياسي وأمني يجعل تنفيذها بالغ الصعوبة.

فالجيش اللبناني لا يمتلك القدرة على نزع سلاح حزب الله بالقوة من دون المجازفة بإشعال مواجهة داخلية، كما أن الحكومة اللبنانية لا تستطيع فرض ترتيبات أمنية جديدة في الجنوب في ظل استمرار الوجود العسكري الإسرائيلي.

> بمرور الوقت تتحول المواقع المؤقتة إلى بنية عسكرية أكثر ديمومة، تشمل نقاط مراقبة وتحصينات، ما يخلق واقعًا جديدًا

وهكذا تنشأ حلقة مفرغة؛ إذ تبرر إسرائيل استمرار وجودها بعدم تنفيذ الشروط، بينما يرى الجانب اللبناني أن تنفيذ هذه الشروط يصبح أكثر صعوبة مع استمرار الاحتلال. والنتيجة هي إطالة أمد الأزمة بدلًا من تمهيد الطريق لحلها.

ورغم أن إسرائيل تبرر المناطق العازلة بحماية بلداتها الشمالية، فإن هذه السياسة قد تمنح حزب الله فرصة لاستعادة جزء من شرعيته الداخلية.

فكلما طال أمد الوجود الإسرائيلي داخل الأراضي اللبنانية، أو فُرضت قيود على القرى والسكان، ازدادت قدرة الحزب على تقديم نفسه باعتباره قوة مقاومة تدافع عن السيادة اللبنانية، وليس مجرد امتداد للمشروع الإيراني. وبذلك، قد تؤدي الإستراتيجية التي تستهدف تقليص نفوذ الحزب إلى نتائج معاكسة، عبر إعادة إحياء الخطاب الذي يستند إليه في تبرير احتفاظه بسلاحه، حتى بعد ما تكبده من خسائر عسكرية وسياسية.

أما في سوريا فتسير إسرائيل وفق المنطق ذاته، وإن كانت الآليات أقل وضوحًا. فبعد انهيار نظام بشار الأسد توسعت القوات الإسرائيلية داخل المنطقة منزوعة السلاح، وعززت انتشارها في جنوب سوريا بحجة منع الجماعات المسلحة أو الفصائل المدعومة من إيران من استغلال الفراغ الأمني.

لكن بمرور الوقت تتحول المواقع المؤقتة إلى بنية عسكرية أكثر ديمومة، تشمل نقاط مراقبة وطرقًا عسكرية وتحصينات ميدانية، بما يخلق واقعًا جديدًا على الأرض يصعب تغييره لاحقًا.

كما تشير الطروحات الإسرائيلية المتعلقة بإقامة أحزمة منزوعة السلاح، وتقييد انتشار القوات السورية، والإبقاء على حرية الحركة العسكرية الإسرائيلية، إلى رغبة في التأثير في شكل النظام الأمني السوري المستقبلي، بحيث تصبح الاعتبارات الأمنية الإسرائيلية جزءًا من ترتيبات الدولة السورية الجديدة.

وتكمن المشكلة الأساسية في أن المناطق العازلة قد توفر لإسرائيل شعورًا أكبر بالأمن على المدى القصير، لكنها في المقابل تخلق أسبابًا إضافية لاستمرار النزاعات.

فالسكان الذين تُقيَّد حركتهم أو تُصادر أراضيهم، والدول التي ترى أجزاءً من أراضيها خاضعة لسيطرة خارجية، والقوى المسلحة التي تجد في ذلك مبررًا لمواصلة القتال، كلها عوامل تجعل الوصول إلى تسويات سياسية أكثر صعوبة.

تأجيج التوتر بدل احتوائه

العرب
الجمعة 2026/07/17
السنة 49 العدد 13863

حرب إيران تختبر صمود شركات الطيران الأوروبية

إيزي جيت تلقت عرض استحواذ وأير بالتيك تعاني من مشاكل ديون ونورس أتلانتيك تجري مراجعة استراتيجية

يخوض قطاع الطيران الأوروبي اختبارا بالغ الصعوبة مع استمرار الحرب في إيران، التي أدت إلى ارتفاع حاد في أسعار الوقود، ما أعاد المخاوف بشأن قدرة بعض شركات الطيران، ولاسيما الأضعف مالياً، على الحفاظ على مستويات كافية من السيولة والاستمرار في التشغيل بعيداً عن شبح إعادة الهيكلة أو الإفلاس.

الوقود لا يكفي الأسطول

لندن - يراقب مستثمرون ومحللون ما إذا كانت الضغوط المتزايدة على شركات الطيران الأوروبية، في ظل عودة الأعمال القتالية في الخليج وارتفاع أسعار النفط، ستقود إلى موجة جديدة من عمليات إعادة الهيكلة والاستحواذ، وربما خروج بعض الشركات من السوق.

وتقترب شركة الطيران البريطانية منخفضة التكلفة إيزي جيت من عملية استحواذ بقيادة الولايات المتحدة ستؤدي إلى تحويل شركة الطيران التي يبلغ عمرها 30 عاما إلى ملكية خاصة غير متداولة في البورصة بتقييم أقل بكثير من ذروة سجلتها قبل جائحة 2020.

باريما بوكوم

أربع أو خمس شركات كبيرة جدا تتجه الآن إلى إعادة الهيكلة

روب موريس

في ظل الأزمة يبدو الأمر كما لو أن الدورة انتهت قبل أن تبدأ

برتراند غرابوفسكي

معدلات نمو شركات أميركية وأوروبية وآسيوية محدودة للغاية

وتسعى شركة أير بالتيك اللاتفية أيضا إلى الحصول على تمويل قصير الأجل لتجنب التخلف عن السداد، بينما تجري شركة نورس أتلانتيك النرويجية مراجعة استراتيجية.

ورغم أن جزءا كبيرا من القطاع قام بتنظيم وتحديث أوضاعه المالية بعد الوباء، فإن ارتفاع أسعار الوقود أثر سلبا على أسعار الأسهم وكشف عن هشاشة ميزانيات بعض الشركات التي تفكر الآن في عمليات إعادة هيكلة أو عمليات استحواذ أو حتى الحماية من الإفلاس.

وقال باريما بوكوم، رئيس قسم أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا في شركة الاستشارات المالية (إنترباك)، لرويترز "أعتقد أننا نعرض حاليا على أربع أو خمس شركات طيران كبيرة جدا عمليات إعادة هيكلة في أنحاء أوروبا".

وخفض قطاع الطيران العالمي الشهر الماضي توقعاته للأرباح لعام 2026 إلى النصف تقريبا، مشيرا إلى الصراع في الشرق الأوسط الذي أدى إلى ارتفاع تكاليف الوقود وتعطيل الممرات الجوية الرئيسية، وكشف عن هشاشة قطاع يعمل بهوامش ربح ضئيلة.

وذكر مصرفيون ومستثمرون ومحللون أن حرب الشرق الأوسط المستمرة، والتي أدت إلى قفزة مهولة في أسعار الوقود هذا العام، فاقمت ضغوط التكاليف التي لم تنته منذ الجائحة.

وقال روب موريس، محلل شؤون الطيران المقيم في بريطانيا لرويترز "يبدو الأمر كما لو أن الدورة انتهت قبل أن تبدأ".

ودفعت الظروف التشغيلية الأكثر صعوبة شركات الطيران إلى كبح خطط التوسع. وخفضت شركة أيرباص هذا الشهر توقعاتها للطلب العالمي على طائرات الركاب خلال العقدين المقبلين، في ظل تأثير الحروب والتوترات التجارية على التعافي القوي الذي شهده القطاع عقب الجائحة.

وقال برتراند غرابوفسكي، مستشار شؤون الطيران والمصرفي السابق المتخصص في القطاع، "لدى شركات الطيران في الولايات المتحدة وأوروبا وجنوب شرق آسيا عموما معدلات نمو محدودة للغاية".

وأضاف "باستثناء بعض الحالات مثل الخطوط الجوية التركية، تتوخى معظم الشركات الحذر الشديد في زيادة السعة التشغيلية".

وأثارت تكاليف وقود الطائرات المرتفعة، التي قد تستحوذ على أكثر من ثلث نفقات شركات الطيران عندما تكون الأسعار عند مستويات عالية، مخاوف بشأن الأوضاع المالية للناقلات الجوية هذا العام.

ورغم استقرار أسعار وقود الطائرات خلال الأسابيع القليلة الماضية، فإن عودة التقلبات في الشرق الأوسط أثارت شكوكا جديدة حول قدرة شركات الطيران الأوروبية الأضعف ماليا على توليد سيولة كافية خلال موسم الصيف المهم لتجاوز فترة الشتاء.

وقال جيمس هالستيد، محلل الطيران المقيم في لندن، إن "الشركات الأصغر حجما هي على الأرجح الأكثر عرضة للخطر".

وأضاف أن "فقدان حركة المسافرين خلال موسم الصيف، الذي يعد الأهم للقطاع، ربما يكون مدمرا لبعض الشركات في قطاع يعتمد بدرجة كبيرة على السيولة النقدية المتاحة".

وأشار إلى أن شركات الطيران ربما تتمكن من اجتياز موسم الصيف، لكنها قد تواجه تحديات أكبر مطلع العام المقبل، مضيفا "المعتاد أن تنفد السيولة لدى شركات الطيران في فبراير".

وتعد شركة الطيران البولندية (لوت) هدفا محتملا لعمليات الاندماج والاستحواذ منذ سنوات، في حين شهد العائد على سندات شركة أير بالتيك المستحقة في 2029 ارتفاعا حادا هذا العام، بما يعكس تزايد إدراك المستثمرين للمخاطر.

وتراجع سهم شركة نورس أتلانتيك إلى مستويات تقترب من الصفر منذ إدراجها الذي حظي باهتمام واسع في عام 2021.

وأحجم متحدث باسم أير بالتيك عن التعليق، بينما قالت لوت إن "أداءها خلال السنوات القليلة الماضية يظهر قوة نموذج أعمالها واستراتيجيتها طويلة الأجل". ولم ترد نورس على طلب للتعليق.

وكثيرا ما خالف قطاع الطيران التوقعات التي كانت ترجح وقوع موجة واسعة من حالات الإفلاس، بفضل قدرته على الصمود في مواجهة الصدمات الخارجية.

غير أن بعض المحللين يرون أن هناك مؤشرات مبكرة تنذر بتراجع الزخم القوي الذي شهده القطاع منذ الجائحة، في ظل ارتفاع أسعار الوقود.

ومن بين المؤشرات التي يراقبها المحللون لرصد أي تباطؤ في أداء القطاع هي خطط السعة التشغيلية وأسعار الطائرات المستعملة وعدد حالات إفلاس شركات الطيران.

وفي الولايات المتحدة، أدت الزيادات المستمرة في تكاليف الوقود والعمالة والصيانة وتأجير الطائرات إلى تقليص الميزة التنافسية لشركات الطيران منخفضة التكلفة، وساهمت في انهيار شركة سبيريت أيرلاينز في مايو.

وحذر محللون من أن الميزانية العمومية لشركة ويز أير عرضة للضغوط، ما يجعلها هدفا محتملا لعمليات الاندماج والاستحواذ.

وتؤكد الشركة أنها تتمتع بسيولة كافية، لكن رئيسها التنفيذي جوزيف فارادي أفاد للصحفيين في أبريل الماضي بأنه يتوقع مزيدا من حالات الإفلاس في القطاع بنهاية الصيف، مع تراجع الحجوزات المسبقة لموسم الشتاء الأقل ربحية.

وقال إن "ويز أير ربما تستفيد في الوقت نفسه من متاعب الشركات الأخرى عبر الاستحواذ على بعض خطوطها الجوية"، موضحا "ما زلنا نغتنم الفرص عندما تتاح".

وفي يونيو الماضي صرح ويلي والش، المدير العام للاتحاد الدولي للنقل الجوي (إياتا)، لرويترز بأن بعض شركات الطيران ستخرج من السوق أو سيتم الاستحواذ عليها من قبل شركات أكبر حجما، لاسيما إذا ظلت أسعار الوقود عند مستويات مرتفعة.

وتابع "للأسف، أعتقد أن بعض شركات الطيران ستجد صعوبة بالغة في التعامل مع أسعار الوقود المرتفعة هذه".

انخفاض قياسي لمبيعات وقود السفن في ميناء الفجيرة

الفجيرة (الإمارات) - يسلط الانخفاض القياسي في مبيعات وقود السفن بميناء الفجيرة الضوء على التحديات التي تواجه قطاع الشحن البحري العالمي، إذ تزامن تراجع الطلب مع استمرار تقلبات أسواق الطاقة وتغير مسارات التجارة البحرية بسبب حرب الشرق الأوسط.

ويعد ميناء الفجيرة، أحد أكبر مراكز تزويد السفن بالوقود في العالم، مؤشرا رئيسيا على نشاط التجارة البحرية، ما يجعل هذا التراجع إشارة يراقبها المستثمرون وشركات النقل عن كثب لقياس قوة الطلب العالمي على الشحن.

وانخفضت مبيعات وقود السفن في الميناء الإماراتي خلال النصف الأول من عام 2026 إلى أقل من النصف مقارنة بالعام الماضي، بعد أن أثرت الحرب بين الولايات المتحدة وإيران على الإمدادات في هذا المركز الرئيسي لتزويد السفن بالوقود في الشرق الأوسط والقريب من مضيق هرمز.

> **63**
> **مليون طن الشحنات بين يناير ويونيو الماضيين، وهي أقل بنحو 55 في المئة بمقارنة سنوية**

وفاقم هذا الانخفاض الكبير تضرر ريادة الفجيرة بين أكبر مراكز تزويد السفن بالوقود في العالم. ويبدو أن ميناء تشوشان الصيني في طريقه الآن إلى تجاوزه بشكل مطرد هذا العام ليصبح ثالث أكبر مركز في العالم، مع استمرار تأثير تعطل الإمدادات.

ولدى الفجيرة، التي تعد المنفذ الوحيد إلى المحيط الهندي في الإمارات، ثاني أكبر ميناء عالمي في تزويد السفن بالوقود بعد سنغافورة، ويتبوأ المركز الثالث لتخزين النفط ومشتقات التكرير في العالم، كما أنه المركز الرئيسي لتخزين النفط ومشتقاته في الشرق الأوسط.

واحتفظ ميناء الإمارة بمكانته كثالث أكبر مركز للتزود بالوقود في العالم اعتبارا من عام 2024، حيث تحوم الأحجام فوق أحجام تشوشان الصينية البالغة 7.26 مليون طن.

وأظهرت بيانات منطقة الفجيرة للصناعة البترولية (فوز)، التي نشرتها ستاندرد آند بورز غلوبال وأوردتها وكالة رويترز الخميس، أن إجمالي مبيعات الوقود البحري، باستثناء مواد التشحيم، بلغ حوالي 1.63 مليون طن (10.4 مليون برميل) بين يناير ويونيو الماضيين.

وبمقارنة هذه الكميات مع الفترة ذاتها من العام الماضي، فإنها تشكل انخفاضا قدره 55 في المئة، بحسب بيانات فوز.

وقد استمرت الأحجام الشهرية في الانخفاض، لتهبط إلى مستوى جديد في يونيو عند حوالي 860 ألف طن.

وشكلت مبيعات الوقود البحري منخفض الكبريت، بما في ذلك كل من الوقود المتبقي ووقود زيت الغاز، 51 في المئة من أحجام مبيعات يونيو، في حين شكلت مبيعات الوقود البحري عالي الكبريت النسبة المتبقية البالغة 49 في المئة.

هدوء مؤقت

مرونة متفاوتة لاقتصادات الخليج في مواجهة التوترات الإقليمية

لندن - أظهرت اقتصادات دول الخليج قدرة متفاوتة على احتواء تداعيات الحرب، مستفيدة من سنوات من الإصلاحات، وتنويع مصادر الدخل، وتطوير مسارات بديلة لتصدير النفط رغم الهجمات التي طالت منشآت للطاقة، واضطراب الملاحة في مضيق هرمز.

وتتباين قدرة دول المنطقة على احتواء تداعيات الحرب الأميركية – الإسرائيلية على إيران، بالنظر إلى اختلاف أوضاعها المالية والجغرافية التي جعلت لكل دولة مستوى مختلفا من التحمل والمواجهة.

وساعد تحسن مناخ الأعمال، إلى جانب الإصلاحات الاقتصادية التي تبنتها دول الخليج خلال السنوات الأخيرة، في الحفاظ على جاذبيتها الاستثمارية.

كما لم تشهد التصنيفات الائتمانية المعلنة لبعض دول الخليج تغيرات جوهرية، رغم اضطرابات سلاسل الإمداد والمخاوف المرتبطة بحركة التجارة والطاقة في المنطقة.

وتوضح المؤشرات تفاوت تأثير الحرب على دول المنطقة، إذ توقع صندوق النقد الدولي أن تحقق سلطنة عُمان نموا بنسبة 3.5 في المئة خلال 2026، والسعودية والإمارات 3.1 في المئة لكل منهما.

في المقابل تتوقع المؤسسة الدولية المانحة انكماشا قدره 0.6 في المئة في الكويت ونصف نقطة مئوية في البحرين ونحو 8.6 في المئة لقطر التي تعتمد على إيرادات الغاز الطبيعي المسال.

وفي السعودية على سبيل المثال، أعلنت الهيئة العامة للإحصاء نمو الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 3 في المئة خلال الربع الأول من هذا العام على أساس سنوي.

وفي مؤشر آخر على استقرار أكبر اقتصاد عربي أظهرت بيانات الهيئة الأربعاء استقرار معدل التضخم السنوي عند 1.8 في المئة خلال يونيو، ليواصل تسجيل مستويات منخفضة مقارنة بالعديد من الاقتصادات المتقدمة والناشئة.

محمد رمضان

لكل بلد وضعيته المالية الخاصة وأدواته البديلة لتجاوز الأزمة

ويعزو الخبير الاقتصادي السعودي محمد رمضان تفاوت قدرة دول الخليج على مواجهة تداعيات الحرب إلى اختلاف أوضاعها المالية والاقتصادية، وما تمتلكه كل دولة من بدائل لتجاوز الأزمة.

وقال، في حديث لوكالة الأناضول، إن "اقتصادات دول الخليج مختلفة، ولكل اقتصاد ظروفه الخاصة". واعتبر أن هناك دولا يمكن أن تتجاوز هذه الأزمة بالنظر إلى وضعها المالي الممتاز.

وأضاف "هناك دول وضعها المالي ممتاز، بل يمكن القول إنه استثنائي، مثل قطر والإمارات والكويت، فهي تتمتع بأوضاع مالية قوية واحتياطيات مالية كبيرة، ما يمكنها من تجاوز هذه الأزمة دون أي إشكال يذكر".

ولفت إلى أن الاقتصاد يشهد نموا مستمرا، وفي الوقت نفسه تمتلك الحكومة السعودية القدرة على تصدير النفط واستقبال السلع والبضائع عبر موانئ أخرى على البحر الأحمر.

ويرى رمضان أن السعودية لم تتضرر كثيرا من إغلاق المضيق، بل على العكس، استفادت من ارتفاع أسعار النفط، واستمرت في تصدير النفط عبر منفذها على البحر الأحمر، إضافة إلى استمرار حركة البضائع وغيرها. وأوضح أن "ضرر الأزمة كان محدودا، بل يمكن القول إنها استفادت من ارتفاع أسعار النفط".

أما بالنسبة إلى سلطنة عُمان، فأوضح الخبير الاقتصادي أنها لم تتضرر كثيرا، لامتلاكها سواحل ومنافذ بحرية خارج مضيق هرمز.

وتابع "كما أن لديها إمكانيات لتصدير منتجاتها خارج هذا المضيق، إضافة إلى أن علاقاتها السياسية مع إيران تُعد الأفضل بين دول مجلس التعاون الخليجي الست".

وفي المقابل رأى رمضان أن البحرين هي الدولة الأكثر تضررا بسبب الظروف الحالية. وأضاف أن التهديدات الأمنية المتكررة للبحرين "تؤثر بشكل كبير في الأمن والاستقرار بصورة يومية ومتواصلة، ما يفرز العديد من الإشكالات".

وإضافة إلى ذلك يعتقد الخبير أن "الوضع المالي للبحرين يعد من الأضعف بين دول مجلس التعاون الخليجي، وهو ما زاد من تأثير هذه الأزمة عليها".

ويشير هذا التباين، وفق رمضان، إلى أن قدرة دول الخليج على مواجهة تداعيات الحرب ارتبطت بحجم احتياطاتها المالية، وتنوع منافذها التجارية، ومستوى اعتمادها على مضيق هرمز.

العرب
الجمعة 2026/07/17
السنة 49 العدد 13863

لماذا أصبح «فيديو 15 ثانية» سلاح الأجهزة الأمنية الجديد

من البيانات التقليدية إلى تيك توك.. الأمن العربي يدخل عصر الإعلام الرقمي الاستباقي

إعلام أمني جديد

تونس - أقرت وزارات الداخلية والأجهزة الأمنية العربية رسميا بأن منصات التواصل الاجتماعي أصبحت الميدان الرئيسي لصياغة الوعي العام ومواجهة الجريمة، في تحول إستراتيجي يتخلى عن السرديات التقليدية الطويلة لصالح محتوى رقمي سريع يتنافس على جذب انتباه الشباب عبر تيك توك وإنستغرام.

وفي ختام المؤتمر العربي السابع عشر لرؤساء أجهزة الإعلام الأمني الذي عقد في تونس، أكد المسؤولون أن الإعلام الأمني لم يعد يقتصر على بيان رسمي يُقرأ بصوت رتيب عبر التلفزيون الحكومي، بل تحول إلى معركة رقمية استباقية تستهدف الفكر المتطرف والشبكات الإجرامية قبل أن تنتشر.

ويقول مراقبون "اليوم، الوعي ليس مجرد معلومة تنشر، بل هو سلاح في حرب الروايات. أصبحت منصات مثل تيك توك وإنستغرام ساحة المعركة الحقيقية، حيث يتنافس المحتوى الذي يبث في 15 ثانية مع الدعاية المتطرفة التي تستهدف عقول الشباب".

وشهد المؤتمر، الذي استمر ثلاثة أيام تحت رعاية وزارة الداخلية التونسية، مناقشات مكثفة حول إستراتيجيات جديدة تعتمد على الذكاء الاصطناعي لمراقبة الاتجاهات، وإنتاج فيديوهات قصيرة احترافية، وتعزيز التفاعل المباشر مع الجمهور.

ووفقاً لوثيقة ختامية، اتفق المشاركون على "تحويل الإعلام الأمني من رد فعل إلى هجوم استباقي رقمي".

وتاريخيًا اعتمدت الأجهزة الأمنية العربية على المؤتمرات الصحفية والنشرات التلفزيونية الرسمية لنشر رسائلها. لكن ارتفاع استخدام وسائل التواصل -حيث يقضي أكثر من 60 في المئة من الشباب العرب بين 18 و35 عاما أكثر من أربع ساعات يوميا على تطبيقات مثل تيك توك وسناب شات، وفق إحصاءات داخلية قدمت خلال المؤتمر- دفع إلى إعادة تقييم جذرية.

وقال مشاركون "لم نعد ننتظر الحدث لنرد عليه. نحن الآن نبني الوعي قبل وقوعه؛ ننتج محتوى ينافس المؤثرين: فيديوهات قصيرة، ميمز، وستوريز تفاعلية تشرح مخاطر الجريمة الإلكترونية أو تجنيد المتطرفين بطريقة تجذب الشاب العادي".

وشارك في المؤتمر خبراء من دول الخليج وشمال أفريقيا والمشرق، عرضوا تجارب ناجحة. على سبيل المثال، أبرزت الإمارات العربية المتحدة حملاتها على إنستغرام التي جمعت ملايين المشاهدات من خلال سلسلة "أمانك"، التي تستخدم رسوما متحركة وموسيقى حديثة للتحذير من مخاطر المخدرات والابتزاز الإلكتروني. أما السعودية فقدمت نموذج "المركز الإعلامي الأمني" الذي يعمل 24 ساعة ويرد فورا على الشائعات عبر منصات متعددة.

> المنطقة تشهد تزايدا في الجرائم الإلكترونية ومحاولات التجنيد ونشر الفوضى ما يستلزم هجوما استباقيا رقميا

وأكد خبراء مصريون أن "الإعلام الأمني الجديد ساهم في تفكيك عشرات الخلايا الإجرامية من خلال الوعي المبكر الذي نشرناه عبر تيك توك". وأضاف أن مقاطع فيديو قصيرة تظهر عمليات اعتقال ناجحة، مع شرح الإجراءات القانونية، أدت إلى زيادة الإبلاغات المواطنية بنسبة 40 في المئة في بعض المناطق.

وفي الأردن أطلقت مديرية الأمن العام حملة "#لا_للجريمة_الإلكترونية" التي حققت أكثر من 15 مليون مشاهدة على تيك توك خلال شهرين، مستخدمة قصصاً حقيقية مع إعادة تمثيل درامي قصير. أما في المغرب فيعتمد "المرصد الرقمي الأمني" على فرق ليلية ترصد الاتجاهات وترد خلال ساعات.

وفي العراق تركز وزارة الداخلية على رفع "الوعي الأمني" لمنتسبيها في استخدام مواقع التواصل، محذرة من أن كل منشور يمثل هيبة الدولة وقد يُستغل لجمع معلومات. وجاء في رسائل توعوية رسمية نشرتها الوزارة العراقية عبر تيك توك وفيسبوك "لم يعد النشر على مواقع التواصل الاجتماعي أمرا شخصيا بالنسبة إلى رجل الأمن... كل منتسب في وزارة الداخلية يمثل هيبة الدولة".

وتعكس المناقشات واقعاً يشهده العديد من الدول العربية، حيث أصبحت المنصات الاجتماعية أداة رئيسية لنشر الوعي الأمني. في السعودية، على سبيل المثال، توظف وزارة الداخلية المنصات الرقمية لتنفيذ حملات إعلامية متخصصة ترفع الوعي المجتمعي وتبرز جهود الأجهزة الأمنية.

ولم يخف المشاركون التحديات. فالمنصات الرقمية تسمح بانتشار المحتوى المتطرف بسرعة فائقة، خاصة مع خوارزميات تعزز المشاهدات العالية بغض النظر عن الدقة. وقال أحد المسؤولين الأمنيين الذي طلب عدم الكشف عن اسمه بسبب حساسية الموضوع "المتطرفون يستخدمون نفس الأدوات التي نستخدمها، لكن بميزانيات أقل ودون قيود قانونية".

واتفق المؤتمر على عدة توصيات عملية أهمها إنشاء وحدات إعلامية متخصصة في كل وزارة داخلية مزودة بمصممي غرافيك ومحررين فيديو وخبراء تسويق رقمي وتدريب الضباط على "السرد الرقمي" ليصبحوا قادرين على إنتاج محتوى جذاب، بالإضافة إلى تعزيز الشراكات مع المنصات الكبرى لإزالة المحتوى الضار بسرعة أكبر واستخدام الذكاء الاصطناعي لتحليل المشاعر العامة واكتشاف الحملات المضادة مبكرا.

كما ناقش المشاركون قضية "الخصوصية مقابل الأمن"، حيث أكد بعض الخبراء الحاجة إلى توازن يحافظ على حرية التعبير مع حماية المجتمع، لأن "ليس كل نقد إرهابا، وليس كل مراقبة اعتداء على الحريات"، كما أكد مشاركون.

ويأتي المؤتمر في وقت تشهد فيه المنطقة تزايدا في الجرائم الإلكترونية والمحاولات الرقمية للتجنيد أو نشر الفوضى. ومع استمرار نمو مستخدمي وسائل التواصل في العالم العربي، يرى المسؤولون أن الاستثمار في الإعلام الرقمي الأمني أصبح ضرورة إستراتيجية لا غنى عنها.

هل تنقذ الرقمنة ماسبيرو، رمز القوة الناعمة المصرية، من أزمته

القاهرة - تواجه الحكومة المصرية واحدة من أعقد أزماتها المزمنة في قطاع الإعلام، وتسعى لمواجهتها من خلال إطلاق إستراتيجية وطنية جذرية وشاملة تهدف إلى نقل مبنى ماسبيرو والصحف القومية العريقة إلى العصر الرقمي بالكامل.

وتأتي هذه الخطة بعد عقود من تراكم البيروقراطية، والخسائر المالية الفادحة، وتراجع حاد في نسب المشاهدة والقراءة لصالح المنصات الرقمية المستقلة والخاصة.

وتُعد الإستراتيجية الجديدة، التي صيغت في وثيقة نهائية تضم أكثر من 165 ورقة ونتاج 175 ساعة عمل مكثف، نقلة نوعية تحت شعار "الرقمية أولاً".

وتأتي تنفيذا لتكليفات مباشرة من الرئيس عبدالفتاح السيسي، الذي شدد على ضرورة إيجاد مخرج عاجل للأعباء المالية المتراكمة والديون الثقيلة، مع صياغة سردية إعلامية جديدة قادرة على المنافسة في الفضاء الرقمي.

وظل مبنى التلفزيون المصري المطل على كورنيش النيل (ماسبيرو) لسنوات طويلة رمزا للقوة الناعمة المصرية والعربية، يبث رسائل الدولة ويصنع الوعي الجماعي. لكنه تحول تدريجيا إلى عبء تكنولوجي ومالي ضخم بسبب التضخم الوظيفي، وتقادم الأستوديوهات والمعدات، وغياب المرونة التحريرية أمام سرعة منصات البث الحديثة مثل يوتيوب ونتفليكس وتيك توك.

وقال خالد عبد العزيز، رئيس لجنة تطوير الإعلام إن "اللجنة عملت لأشهر في صياغة الاستراتيجية، وتوصياتنا تركز على دمج التكنولوجيا الحديثة مع الكفاءات البشرية. ماسبيرو يحتاج إلى بنية تحتية سحابية وتدريب مكثف للكوادر، حتى يستعيد دوره كمركز إشعاع إعلامي إقليمي".

وأكد الكاتب الصحفي ضياء رشوان، وزير الدولة للإعلام "إعلام ماسبيرو شريك أساسي في تحقيق أهداف الوطن داخلياً وخارجيا. التطوير ليس رفاهية، بل ضرورة وطنية لاستعادة القوة الناعمة المصرية".

ويقول محللون إعلاميون إن "تطوير ماسبيرو يمثل معركة استعادة القوة الناعمة المصرية. آلاف العاملين يرون فيه أملاً في إحياء الإبداع، لكن النجاح يعتمد على فك القيود البيروقراطية، وإتاحة مساحات أوسع للابتكار والتعددية في المحتوى"، مضيفين أن "المنصات الرقمية تفوق التلفزيون التقليدي كمصدر للأخبار، لذا فإن خطة ماسبيرو الرقمي تمثل لحظة تاريخية إذا نُفذت بكفاءة، مع التركيز على المحتوى الجذاب والتفاعلي".

وتعكس هذه التصريحات تعكس تفاؤلاً حذراً.

وفي هذا السياق وجه رئيس الوزراء مصطفى مدبولي الهيئات الإعلامية بترجمة توصيات "لجنة تطوير الإعلام"، برئاسة المهندس خالد عبدالعزيز، إلى خطة عمل تنفيذية عاجلة، مقسمة إلى مسارات قصيرة ومتوسطة وطويلة الأمد.

مصطفى مدبولي

الإعلام يحتاج إلى أدوات عصرية لاستعادة دوره الريادي

وأكد مدبولي، حسب تصريحات رسمية، على أن "الإعلام المصري يمتلك رصيدا هائلاً من المحتوى والكفاءات، لكنه يحتاج إلى أدوات عصرية لاستعادة دوره الريادي".

وأعلن رئيس الهيئة الوطنية للإعلام، أحمد المسلماني، البدء الفعلي في بناء بنية تحتية تقنية سحابية متطورة، وإطلاق منصة موحدة مخصصة لعرض المحتوى القومي. وستعتمد المنصة على تقنيات الذكاء الاصطناعي لاستثمار الأرشيف الضخم الذي يمتلكه التلفزيون المصري، بدءاً من تسجيلات الستينات والسبعينات وحتى البرامج المعاصرة.

وقال المسلماني "ماسبيرو لن يكون مجرد مبنى بعد اليوم، بل سيكون منصة رقمية حية تصل إلى ملايين المشاهدين عبر العالم، وتستعيد جمهور الشباب الذي ابتعد عن الشاشة التقليدية".

وتضمنت الوثيقة مقترحا مهما يتمثل في إنشاء "غرفة سوشيال ميديا مركزية" موحدة لإدارة حسابات جميع القنوات الرسمية على شبكات التواصل.

وتهدف هذه الوحدة إلى تفكيك المحتوى الطويل إلى مقاطع قصيرة جذابة وجاهزة للنشر الفوري على يوتيوب وتيك توك وإنستغرام وإكس.

كما تقرر إنهاء الاعتماد الحصري على الموجات الإذاعية التقليدية (القصيرة والطويلة) من خلال إطلاق منصة وطنية للبودكاست، تعيد بث البرامج والمسلسلات الإذاعية التراثية بصيغ رقمية حديثة، مع إمكانية الاستماع حسب الطلب.

وتعاني الصحف القومية الكبرى مثل "الأهرام" و"الأخبار" و"الجمهورية" من معضلة وجودية حقيقية، حيث تآكلت مبيعات النسخ الورقية بشكل دراماتيكي، وتراجعت إيرادات الإعلانات التقليدية أمام الإعلانات المبرمجة العالمية.

وتقترح الإستراتيجية تحويل هذه المؤسسات إلى "شركات إعلامية متكاملة" قادرة على المنافسة التسويقية والتجارية. وتشمل الخطة إلغاء الفصل التام بين صالات التحرير المطبوعة والإلكترونية، ودمج الإصدارات المتشابهة لتخفيف النفقات، وضمان الاستدامة المالية.

كما تتجه اللجنة إلى إطلاق منصات رقمية تفاعلية جديدة متخصصة في التحقيقات الاستقصائية، وصحافة البيانات، والقصص الإنسانية، خاصة لصحف عريقة مثل "الأخبار".

ويؤكد الخبراء والمحللون أن العقبة الحقيقية لا تكمن فقط في تحديث الأجهزة والتقنيات، بل في تغيير عقلية الكوادر البشرية المعتادة على الروتين البيروقراطي. ولذلك تقرر إطلاق خطة تدريب وطنية إلزامية متطورة بالتعاون مع معاهد تكنولوجية متخصصة.

وتركز برامج التدريب على محاور رئيسية تشمل: التفكير الإستراتيجي وأخلاقيات المهنة الحديثة، وأدوات التحول الرقمي وصحافة الموبايل، وتطبيقات الذكاء الاصطناعي في صياغة المحتوى السريع وتحليله. كما تخطط الحكومة لتأسيس "مجلس أمناء استشاري" يضع معايير مهنية صارمة وشفافة لاختيار القيادات الإعلامية المستقبلية، لضمان إدارة المشروعات الجديدة بعقلية اقتصادية تنافسية.

وتشير البيانات الاقتصادية إلى نمو متسارع لسوق الإعلام والترفيه في الشرق الأوسط، مدفوعا بزيادة الإنفاق الإعلاني الرقمي. غير أن التحدي الأكبر أمام التجربة المصرية يكمن في الموازنة بين الهيكل المالي الضخم والديون المتراكمة من جهة، وبين متطلبات المنافسة في الفضاء الإلكتروني المفتوح من جهة أخرى، والذي يتطلب حرية أوسع وسرعة فائقة.

ويمثل إصرار الحكومة على إنشاء "تكتل إعلاني موحد" محاولة واضحة لاستعادة حصة من سوق الإعلانات الرقمية. ومع ذلك، يظل التحدي التحريري قائما، إذ يحتاج "إعلام الخدمة العامة" الرقمي إلى هوامش تعددية وعرض مختلف الآراء لبناء الثقة واستعادة الجمهور الشاب.

وحددت الحكومة شهر ديسمبر المقبل، موعد انعقاد المؤتمر السنوي للإعلام، كموعد نهائي لمراجعة الخطة التنفيذية وقياس النتائج الأولى على أرض الواقع. وستتابع الصحافة المحلية والدولية التطورات عبر منصات التغطية اللحظية مثل "اليوم السابع" وغيرها.

عبء مالي وتكنولوجي

العرب
الجمعة 2026/07/17
السنة 49 العدد 13863

حمد بن خليفة وسلاح الإسلام السياسي

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

غيّب الموت الشيخ حمد بن خليفة أمير دولة قطر الذي تنازل عن كرسي الحكم لنجله الشيخ تميم في العام 2013 والذي بقي يعرف بـ"الأمير الوالد". لكن بصمات حمد بن خليفة لن تغيب نظرا إلى الدور الذي لعبه على صعيد تحويل قطر إلى دولة حديثة ذات دور معترف به في المنطقة والعالم من جهة ونجاحه في استغلال سلاح اسمه الإسلام السياسي من جهة أخرى.

جعل حمد بن خليفة من الإسلام السياسي سلاحا فتاكا مكّن قطر من أن تكون دولة ذات أنياب، دولة متمرّدة على كلّ ما يحيط بها. كانت أداته المفضلة قناة "الجزيرة" التي كان يشرف عليها حمد بن خليفة شخصيا، عبر أحد رجاله، والتي لعبت دورا في كلّ ما له علاقة بإثارة المشاعر القومية والإسلاميّة العربيّة وإن بطريقة مفتعلة في أحيان كثيرة.

«الجزيرة» غيّرت المفاهيم في شأن كلّ ما يخص الإعلام العربي... غيّرت اللعبة الإعلاميّة والسياسيّة في المنطقة كلّها عبر فرض سقف جديد في التعاطي مع القضايا الكبرى

غيّرت "الجزيرة" المفاهيم في شأن كلّ ما يخص الإعلام العربي. في الواقع، غيّرت اللعبة الإعلاميّة، بل السياسيّة، في المنطقة كلّها عبر فرض سقف جديد في التعاطي مع القضايا الكبرى. هذا السقف الجديد وضعه حمد بن خليفة الذي تجاوز كلّ العقد التي كانت تتحكّم بالنظام الإقليمي... بما في ذلك عقدة إسرائيل والتعاطي معها علنا...

واستضافة قاعدة العديد أكبر القواعد الأميركيّة في المنطقة!

استطاع حمد بن خليفة خلق معادلات جديدة في المنطقة. استعان بأميركا من أجل البدء بإنتاج الغاز القطري المسيل عن طريق شركة "إنرون" الأميركيّة التي حلّت مكان "موبيل أويل" التي أبدت بعض التلكؤ. ما لبث أن استغلّ الثروة التي هبطت على قطر وتوظيفها في السياسة، أكان ذلك في العلاقات الخليجية – الخليجية أو في لبنان أو في سوريا وفي كلّ ما له علاقة بالقضيّة الفلسطينية حيث تحولت قطر إلى طرف.

لم يتردّد حمد بن خليفة حتّى في الانفتاح على إسرائيل حين تطلبت مصلحة قطر ذلك. في إحدى المرات، وكان ذلك في العام 2008، في ما أعتقد، جلست تسيبي ليفني نائبة رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى طاولة كان عليها رئيس الوزراء وزير الخارجيّة القطري حمد بن جاسم بن جبر. إلى جانب تسيبي ليفني، في العشاء الرسمي، جلس أيضا يوسف بن علوي وزير الخارجية العماني. في منتصف العشاء، كانت مصافحة علنيّة بين حمد بن جاسم، الذي يمكن اعتباره أحد أذكى السياسيين العرب... وليفني. كان تعليق رئيس الوزراء القطري مع اقتراب المصورين: "نحن نلعب فوق الطاولة".

لم يمنع ذلك "الجزيرة" من أن تكون صوت "حماس" وغير "حماس". باتت قطر الراعي الرسمي لـ"حماس"، خصوصا منذ استيلائها على غزة في منتصف 2007.

يروي مسؤول عربي كان يعمل في مجال الإعلام أنّه مثل بلاده، في إحدى المرات، في مؤتمر لوزراء الإعلام العرب انعقد في الدوحة. مع اختتام المؤتمر أعماله، حضر أمير قطر. طُلب من الوزراء ورؤساء الوفود التقدم للسلام على حمد بن خليفة. كان الأمير يستمتع بالسماع إلى شكاوى وزراء الإعلام العرب من "الجزيرة". كان هذا المسؤول العربي استثناء، إذ لم يقدّم أي شكوى. سلّم على الأمير وانصرف. لكنه وجد مرافقي الأمير يطلبون منه العودة مجددا للسلام على حمد بن خليفة الذي سأله: أليست لديك أي شكوى من "الجزيرة"؟ كانت خيبة أمير قطر كبيرة عندما قال له المسؤول العربي أن ليست لديه أي شكوى... وكل شيء على ما يرام مع "الجزيرة"!

كلام كثير يقال عن الدور القطري في لبنان، وهو دور راوح بين دعم "الحزب" ثم الابتعاد عنه. في كلّ ما فعلته قطر في لبنان كان لديها هم واحد يتمثل في البحث عن دور. صحيح أنّ الشيخ حمد بن جاسم حرص في العام 2008 على تأكيد أنّ "اتفاق الدوحة" هو "تحت سقف اتفاق الطائف"، لكنّ اتفاق الدوحة فرض "الثلث المعطّل" في وقت فرضت قطر ميشال سليمان رئيسا للجمهورية تمهيدا لمجيء ميشال عون إلى قصر بعبدا في 2016.

كانت قطر لاعبا أساسيا في "الربيع العربي". صفّى حمد بن خليفة حساباته مع معمّر القذافي، وهي حسابات ذات طابع شخصي أكثر من أي شيء، ومع علي عبدالله صالح الذي يعتبر حمد بن خليفة أنّه "طعنه في الظهر". امتنع الرئيس اليمني في أواخر العام 2008 وأوائل 2009 عن حضور قمة انعقدت في الدوحة دعما لغزة. لم ينس "الأمير الوالد" ذلك.

الأكيد أن حمد بن خليفة نجح في الداخل القطري حيث بنى دولة حديثة ذات بنية تحتيّة متطورة، كما بنى دورا خليجيا وعربيا ودوليا لقطر. لعلّ نجاحه الأول يكمن في توريث نجله تميم، وهو لا يزال حيا. هل كان ذلك بنصيحة من زوجته الشيخة موزا؟ أفسحت السنوات الـ13 الأخيرة في المجال كي يمسك تميم بمفاصل السلطة، خصوصا أن عملية التوريث ترافقت مع خروج حمد بن جاسم من أي موقع رسمي كان يشغله.

تظلّ الحاجة إلى تقويم عام لتجربة حمد بن خليفة الذي كان أميرا لقطر بين 1995 و2013، علما أنّه لم يفقد كلّ نفوذه بعد خروجه من السلطة. لا شكّ أن الرجل كان يمتلك ذكاء حادا وعرف كيف يقف في وجه ما يعتبره الرغبة السعودية في الهيمنة على قطر. كان التقارب مع تركيا مدروسا. استخدم الإسلام السياسي في كلّ حروبه وفي جعل قطر تتمتع بمكانة خاصة خليجيا وعربيا ودوليا. ظهر هذا الذكاء الحاد من خلال موقفه من النظام السوري السابق. ليس سرّا أن قطر دعمت هذا النظام وسعت إلى تأهيل بشار الأسد، في مرحلة ما بعد اغتيال رفيق الحريري، نكاية بالسعوديّة. لكنّ ذلك لم يمنع حمد بن خليفة من إعادة النظر في موقفه من بشار الأسد بمجرد زيارته دمشق بعد اندلاع الثورة السورية في 2011. وقتذاك خرج حمد بن خليفة من عشاء مع الرئيس السوري وأفراد عائلته ليقول "هذه مافيا وليست عائلة"... كم كان على حقّ في ذلك!

كم كان على حقّ في ذلك كله!

لماذا اختارت واشنطن الإمارات؟

إسماعيل عبدالله المنصوري
كاتب إماراتي

عندما كان امتلاك الأرض هو مصدر القوة، قامت الإمبراطوريات الزراعية. وعندما أصبحت البحار هي مصدر الثروة، صعدت الإمبراطوريات البحرية. ثم جاءت الثورة الصناعية، فتحول الفحم والحديد إلى أساس الهيمنة الدولية. وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح النفط هو الوقود الذي يدير الاقتصاد العالمي، فتحولت منطقة الخليج إلى إحدى أهم مناطق العالم جيوسياسيًا.

اليوم، يبدو أن العالم يقف أمام تحول تاريخي جديد، ليس لأن النفط فقد قيمته، وإنما لأن موردًا آخر بدأ يزاحمه على قيادة النظام الدولي، وهو القدرة الحاسوبية. وإذا كان النفط هو الوقود الذي حرك الاقتصاد العالمي طوال القرن العشرين، فإن القدرة على تشغيل الذكاء الاصطناعي قد تصبح الوقود الذي سيحرك الاقتصاد العالمي خلال القرن الحادي والعشرين.

لهذا السبب، فإن القرار الأميركي بتخفيف القيود على تصدير تقنيات الذكاء الاصطناعي المتقدمة إلى الإمارات لا ينبغي أن يُقرأ باعتباره مجرد تعديل في لوائح التصدير، بل باعتباره مؤشرًا على أن واشنطن بدأت تعيد رسم خريطة البنية التحتية للاقتصاد الرقمي العالمي.

اختيار الإمارات يرتبط بقدرتها المؤسسية على تحويل التكنولوجيا إلى نفوذ مستدام فهي لا تسعى لأن تكون خزنة أموال العالم بل أن تصبح العقل الحاسوبي للاقتصاد العالمي

لكن السؤال الحقيقي ليس: لماذا خففت الولايات المتحدة هذه القيود؟ السؤال الحقيقي هو: لماذا الإمارات؟

في العلاقات الدولية، لا تمنح القوى الكبرى أصولها الإستراتيجية على أساس المجاملة أو الصداقة، وإنما وفق حسابات دقيقة تتعلق بالثقة، والقدرة المؤسسية، وإمكانات تحويل هذه الأصول إلى نفوذ مستدام. ولذلك فإن اختيار الإمارات لا يعكس فقط مستوى العلاقات الثنائية، بل يعكس إدراكًا أمريكيًا بأن هذه الدولة تمتلك من المقومات ما يجعلها قادرة على إدارة أحد أهم موارد القوة في القرن الحادي والعشرين.

فالقدرة الحاسوبية ليست مجرد شرائح إلكترونية تُشترى وتُباع، بل منظومة متكاملة تبدأ بالطاقة، ولا تنتهي بالبنية التشريعية، مرورًا بالكابلات البحرية، وشبكات الاتصالات، والأمن السيبراني، والاستقرار السياسي، ورأس المال، والكوادر البشرية، والقدرة على تنفيذ المشاريع العملاقة بسرعة وكفاءة. ومن دون هذه المنظومة، تبقى الشرائح مجرد أجهزة متقدمة، لكنها لا تتحول إلى مركز عالمي للحوسبة.

وهنا تكمن خصوصية التجربة الإماراتية. فمنذ قيام الاتحاد، لم يكن المشروع الإماراتي مشروع إدارة موارد، بل مشروع بناء بنية تحتية للمستقبل. لم تُبنَ الموانئ لتخدم التجارة المحلية فقط، وإنما لتصبح عقدًا رئيسية في التجارة العالمية. ولم تُبنَ المطارات لخدمة حركة السفر الداخلية، وإنما لتصبح مراكز تربط الشرق بالغرب. ولم تُؤسس المناطق الاقتصادية الحرة لجذب الاستثمار التقليدي فحسب، بل لبناء اقتصاد عالمي يتخذ من الإمارات نقطة ارتكاز. وهذا ما يجعل مشروع الذكاء الاصطناعي امتدادًا طبيعيًا لمسار بدأ قبل عقود، وليس تحولًا مفاجئًا فرضته التكنولوجيا. لقد كانت الإمارات، في كل مرحلة، تستثمر في البنية التحتية للمرحلة التالية من الاقتصاد العالمي. وهنا يكمن الفارق بين الدول التي تستجيب للمستقبل، والدول التي تبني نفسها على افتراض أن المستقبل سيصل إليها.

ومن هذا المنطلق، فإن الحديث عن أن الإمارات قد تصبح "سويسرا الاقتصاد الرقمي" لا يعكس الصورة كاملة. فسويسرا بنت مكانتها على الحياد والقطاع المالي وإدارة الثروات. أما الإمارات فتتجه نحو نموذج مختلف، فهي لا تسعى إلى أن تكون خزنة أموال العالم، بل إلى أن تصبح منصة تشغيله. إنها لا تريد أن تدير الأموال فقط، بل أن تدير البنية التحتية التي سيعمل فوقها الاقتصاد الرقمي العالمي. وربما يكون الوصف الأدق هو أن الإمارات تتحول تدريجيًا إلى العقل الحاسوبي للاقتصاد العالمي.

وهذا يقود إلى تحول آخر أكثر عمقًا في الجغرافيا السياسية. فإذا كانت الموانئ هي التي منحت الدول البحرية نفوذها في القرون الماضية، فإن مراكز البيانات قد تصبح موانئ القرن الحادي والعشرين. وإذا كانت خطوط الملاحة البحرية هي شرايين التجارة العالمية، فإن كابلات البيانات والقدرة الحاسوبية قد تصبح شرايين الاقتصاد الرقمي العالمي. ومن يسيطر على هذه الشرايين، لن يمتلك قطاعًا اقتصاديًا جديدًا فحسب، بل سيمتلك أحد أهم مفاتيح القوة الدولية. وهنا يصبح السؤال أكثر أهمية: هل يمكن لهذا التحول أن يغير طبيعة الشرق الأوسط نفسه؟

الإجابة ليست بسيطة، لكنها تستحق التأمل. فالشرق الأوسط، طوال العقود الماضية، بُنيت توازناته على النفط، وعلى الصراعات الجيوسياسية، وعلى المشاريع الأيديولوجية، وعلى سباقات النفوذ العسكري. أما الاقتصاد الرقمي فيعمل بمنطق مختلف تمامًا. فمراكز البيانات لا تزدهر في بيئات الاضطراب، وشركات الذكاء الاصطناعي لا تستثمر مئات المليارات في مناطق تتكرر فيها الحروب، وسلاسل الاقتصاد الرقمي تحتاج إلى الاستقرار أكثر مما تحتاج إلى الشعارات.

وهنا قد تظهر معادلة جديدة في المنطقة. فكلما أصبحت الإمارات عقدة رئيسية في الاقتصاد الرقمي العالمي، ارتفعت كلفة أي اضطراب يصيبها، ليس على الإمارات وحدها، بل على الشركات العالمية، والمؤسسات المالية، ومراكز البحث، والدول التي ستعتمد على بنيتها التحتية الرقمية. وهذا يعني أن الاستقرار قد يتحول من قيمة سياسية إلى مصلحة اقتصادية عالمية. لقد قامت التجربة الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية على فكرة أن تشابك المصالح الاقتصادية يجعل الحرب أكثر كلفة. واليوم، قد يعيد الذكاء الاصطناعي إنتاج الفكرة نفسها في الشرق الأوسط، ولكن بأدوات مختلفة. ليس لأنه سينهي الخلافات السياسية، بل لأنه قد يرفع كلفة الصراع ويزيد من العائد الإستراتيجي للاستقرار.

وهذا لا يعني أن الطريق سيكون سهلاً. فكل انتقال في مصادر القوة يولد منافسة. وكل مشروع يعيد توزيع النفوذ يثير محاولات للموازنة. وستواجه الإمارات تحديات تتعلق بالمنافسة الدولية، وأمن البيانات، واستقطاب الكفاءات، وإدارة التوازن بين القوى الكبرى، والحفاظ على تفوقها المؤسسي. لكن التحدي الأهم لن يكون تقنيًا، بل فكريًا. فالإمارات لا تقدم مشروعًا جديدًا في التكنولوجيا فقط، بل تقدم تعريفًا جديدًا للقوة في الشرق الأوسط. لقد اعتادت المنطقة أن تربط النفوذ بالنفط، والجيوش، والأيديولوجيات، والجغرافيا. أما المشروع الإماراتي فيراهن على أن المعرفة والبيانات والقدرة الحاسوبية والابتكار يمكن أن تصبح مصادر نفوذ لا تقل تأثيرًا عن الموارد الطبيعية.

قرار واشنطن بتخفيف القيود على تصدير تقنيات الذكاء الاصطناعي للإمارات يعكس إدراكًا بأن القوة في القرن الحادي والعشرين لم تعد مرتبطة بالنفط وحده

وهنا نفهم لماذا كان السؤال: لماذا الإمارات؟ فالجواب لا يكمن في عدد السكان، ولا في المساحة، ولا حتى في حجم الثروة وحدها. الجواب يكمن في أن الولايات المتحدة لا تبحث عن دولة تشتري التكنولوجيا، بل عن دولة تستطيع أن تحول التكنولوجيا إلى بنية تحتية عالمية، وأن تجعل العالم يعتمد عليها في تشغيل اقتصاده الرقمي.

وربما بعد سنوات، لن يتذكر المؤرخون هذا القرار بوصفه تعديلاً في لوائح تصدير أشباه الموصلات، بل بوصفه لحظة رمزية أعلنت أن مركز الثقل العالمي بدأ ينتقل تدريجيًا من جغرافيا النفط إلى جغرافيا البيانات، ومن اقتصاد الموارد إلى اقتصاد الحوسبة. وكما منح النفط الخليج مكانته في القرن العشرين، قد تمنح القدرة الحاسوبية الإمارات مكانة جديدة في القرن الحادي والعشرين.

وعندها، لن تكون الإمارات مجرد دولة نجحت في استشراف المستقبل، بل دولة ساهمت في إعادة تعريف مفهوم القوة ذاته.

لماذا الإمارات؟

لا مستقبل للمتمردين في جنوب ليبيا

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

في الوقت الذي ينظر فيه الليبيون بعين التفاؤل والرضا إلى التحركات السياسية والاجتماعية التي تشهدها البلاد على أكثر من صعيد بهدف الخروج بها من النفق، يحاول البعض تدمير بارقة الأمل بعرقلة أي توافقات داخلية يمكن أن تنتصر لتطلعات الشعب المنهك جراء سيطرة الكساد والفساد في ظل حكم الميليشيات والعصابات على امتداد سنوات التشظي والانقسام. ومن هذا المنطلق يمكن القول:

أولًا: إن الهجوم على بوابة أريانديغا في محافظة مرزق جنوب غرب ليبيا لا يعد إنجازًا عسكريًا مهمًا ولا يحمل أي أبعاد سياسية أو إستراتيجية قادرة على تغيير اتجاهات موازين القوى في إقليم فزان أو في الساحة الليبية عمومًا. فالمساحة الشاسعة والامتدادات الصحراوية الواسعة وإجمالي طول الحدود الجنوبية الذي يبلغ نحو 1409 كيلومترات مع دولتي تشاد والنيجر، يمكن أن يسمح لأي جماعة إرهابية بالتسلل إلى أي بوابة أمنية نائية أو ثكنة عسكرية معزولة كما حدث في أريانديغا، لكنه لا يمنحها القدرة على السيطرة والتحكم وبسط النفوذ، خاصة في مواجهة مؤسسة عسكرية نظامية تمتلك آليات الرد بشكل سريع برًا وجوًا، ولديها سلطة القرار وشرعية تنفيذه في المكان والزمان اللذين تحددهما القيادة العامة.

المتمردون في جنوب ليبيا يفتقرون إلى القدرة على السيطرة، فالهجمات المحدودة لا تغير موازين القوى أمام مؤسسة عسكرية نظامية تمتلك الشرعية والرد السريع

ثانيًا: إن الهجوم على بوابة أريانديغا ليس الأول من نوعه وقد لا يكون الأخير، ولكن اللافت أنه جاء في الوقت الذي تسعى فيه القوى الداخلية والخارجية لتجاوز الأزمة السياسية وبلورة الحل الشامل انطلاقًا من العمل على توحيد المؤسسة العسكرية وفق المبادرة الأميركية وخارطة الطريق الأممية والجهود المحلية المبذولة على أكثر من صعيد. وبذلك فهو لا يخرج عن دائرة التآمر من أجل عرقلة خطى العاملين على إخراج البلاد من مربع الفوضى والانقسام والصراع والتجاذبات الإقليمية والدولية، والاستمرار في مصادرة القرار الوطني والعبث بسيادة الدولة ونهب مقدرات الشعب.

ثالثًا: إن ما تقوم به ما تسمى "غرفة عمليات الجنوب" لا يدخل في سياق ما تصفه بالعمل على تحرير المنطقة من النهب والفساد، وإنما يعد تمردًا مسلحًا بروح انفصالية وبخلفية عرقية وقبلية تستفيد من امتداداتها الاجتماعية في دول الجوار. ولا يمكن فصله عن نظرية المؤامرة في محيط جيوسياسي وجيوستراتيجي مضطرب ومتشعب ومحل تجاذبات وفق أجندات قوى إقليمية ودولية تطمح إلى الاستفادة من حالة التشظي والانقسام في منطقة الساحل والصحراء، ولديها علم وإدراك بأن من يمتلك مفاتيح فزان يمتلك أبواب ليبيا ومن ورائها القارة الأفريقية.

إن أول ما يمكن التوقف عنده هو رهان بعض الفاعلين الأساسيين على إخراج قوات الجيش من إقليم فزان وحصر دورها في إقليم برقة بما يتيح لسلطات غرب ليبيا إمكانية بسط نفوذها على فزان والاستفادة من ثرواته الكبرى كالمعادن الثمينة والمياه والطاقات التقليدية والجديدة والمستقبلية، في تحقيق أهداف إقليم طرابلس المعروف بكثافته الديموغرافية العالية مقابل ضعف الموارد الطبيعية. وأصحاب هذه الرؤية يعتقدون أن سحب مقاليد السيطرة على الجنوب من يد القيادة العامة يضعف دورها ويؤثر على موقعها في أي خطة مستقبلية لرسم ملامح الحل النهائي. وهم يظنون أنهم قادرون على تحقيق أهدافهم باستدعاء التدخلات الأجنبية والاستفادة من سوق الارتزاق المفتوحة على مصراعيها في المنطقة، وباقتراح دورهم كطرف ميداني جديد يحاول الانضمام إلى لائحة الجماعات المسلحة الدائرة في فلك سلطات طرابلس ومراكز القوى المتصلة بها.

أما ثاني ما يمكن طرحه فهو الدور الذي تقوم به إحدى دول الجوار لزعزعة استقرار جنوب غرب ليبيا، وبالتالي لوضع قوات الجيش على صفيح ساخن، وربما لطردها من إقليم فزان ومنعها من الاستمرار في تأمين الحدود الجنوبية والجنوبية الغربية. والأسباب هنا سياسية واجتماعية وإستراتيجية، والقيادة العامة تدرك ذلك وتمتلك ما يكفي من الأدلة التي تكشف عن الأدوار القذرة لأجهزة مخابرات إقليمية ودولية تعمل على تحويل إقليم فزان إلى ساحة صراع من أجل الإمساك بخاصرة ليبيا.

أما الراغبون في العودة بعقارب الساعة إلى الوراء، فإنهم غارقون في الوهم، وغير قادرين على مواجهة الحقيقة التي تؤكد أن المشاريع التي لم تتحقق خلال السنوات الماضية لن تتحقق الآن ولا غدًا. وما يقوم به ناشطون في عواصم إقليمية من محاولات التحريض على قيادة الجيش لم يعد مجديًا في ظل التحولات المهمة التي تعرفها موازين القوى الاجتماعية في البلاد، وتشكّل زعامات سياسية جديدة منبثقة عن مشروع الكرامة تمتلك زمام أمورها وتحظى بآليات تنفيذ رؤيتها على أرض الواقع عبر إعادة الإعمار وتنفيذ مخططات التنمية وتحقيق المصالحة واحترام خصوصيات القبائل والمدن من خلال فتح جسور التواصل مع قياداتها وممثليها، وخاصة في منطقة الجنوب التي لم يسبق لها أن شهدت في العهدين الملكي والجماهيري ما تشهده اليوم من حراك تنموي ضمن ورشة عمل لا تتوقف عن الإنجاز وتحقيق مطالب الناس.

القبائل أعلنت براءتها من التمرد، مؤكدة أن المتمردين مجرد أدوات خارجية فيما يواصل الجيش تعزيز شرعيته عبر التحرير والتنمية والمصالحة مانعًا أي تهديد للاستقرار

قبيلة التبو أكدت براءتها الكاملة من الهجوم الذي استهدف بوابة أريانديغا، معتبرة إياه "محاولة لجر الجنوب إلى دائرة جديدة من الفوضى والاقتتال"، وحذّرت من تداعياته على الأمن والاستقرار في المنطقة. وقالت بوضوح إن وردقو "لا يمثل القبيلة ولا يتحدث باسمها"، وإن جميع تحركاته تقع على مسؤوليته الشخصية، واتهمته باستجلاب دعم عسكري من المنطقة الغربية، واستغلال اسم القبيلة لتنفيذ أعمال عدائية ضد القوات المسلحة الليبية، معلنة أن "صبرها بلغ منتهاه"، وأنها "لن تقف مكتوفة الأيدي" تجاه تلك الممارسات.

هل يمكن للهجوم على بوابة أريانديغا أن يطيح بتفاهمات سرت حول توحيد المؤسسة العسكرية؟ الجواب: نعم، وخاصة في حالة ثبوت معطيات تشير إلى تورط سلطات طرابلس في دعم زعيم المتمردين محمد مهدي وردقو، الذي سبق له أن أقام فترة بالعاصمة فارًا من سيطرة الجيش على الإقليم الجنوبي، وتم الحديث آنذاك عن تلقيه دعمًا سخيا يساعده على إعادة خلط الأوراق في منطقة الجنوب الغربي بالاعتماد على مقاتلين من دول الجوار وخاصة تشاد والنيجر.

هل يمكن لغرفة عمليات الجنوب أن تخلّ بميزان القوى الحالي وتطيح بسيف الجيش من أفق فزان؟ الجواب: لا. وما حققته القيادة العامة للقوات المسلحة من إنجازات التحرير والتعمير يعطيها شرعية التصدي لكل من يحاول التمرد على سلطتها القائمة، ويجعلها رمزًا لسيادة الدولة في مواجهة كل من يرفع السلاح خارج إطار القانون، ويتيح لها القضاء على أعدائها من المسلحين باعتبارهم إرهابيين عابرين للحدود يهددون السلم الاجتماعي ويستهدفون مشاريع الحل السياسي.

الهجوم على بوابة أريانديغا لا يحمل أي بعد إستراتيجي

يهودية الدولة ومعضلة الدستور

دولة بلا دستور

فتحي أحمد
كاتب فلسطيني

قال الرئيس الأميركي السابق بايدن "لا ينعم الشرق الأوسط بالأمن والاستقرار إلا إذا اعترف العالم بإسرائيل دولة مستقلة ويهودية". لقد ارتكز مشروع الدولة اليهودية، منذ نشأته كفكرة أولية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، على اليهودية بوصفها خصوصية دينية توراتية وتاريخية. ومن هنا كان الربط الجدلي لدعاة الصهيونية الأوائل بين الدين والتاريخ من جهة، والجغرافيا أي الأرض -والمقصود بها "أرض الميعاد" أي فلسطين- من جهة أخرى.

لقد حرص رؤساء الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، بدءًا بأرئيل شارون وانتهاء ببنيامين نتنياهو، على ترديد المطالبة بيهودية الدولة. ففي الرابع من حزيران/يونيو 2003، ألقى شارون خطابًا في مدينة العقبة الأردنية طالب فيه بالاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية. وفي العام 1878 عرض جوزيه إيشتوسي، وهو من مشاهير المعادين لليهود، مشروع قرار على البرلمان المجري يدعو فيه إلى تأييد ودعم إقامة دولة يهودية في فلسطين. وعرض مشروع القرار نفسه في مؤتمر برلين المنعقد في تلك الفترة بهدف دفعه إلى حيّز التنفيذ وكسب جهات أوسع إلى جانبه.

مدلول يهودية الدولة يتجاوز البعد القانوني ليصبح أداة لمحو الهوية الفلسطينية وعرقلة مشروع الدولة الفلسطينية عبر سياسات تهويد الأرض والضغط على الفلسطينيين للتهجير

ويثار قدر من الجدل حول من دشن مفهوم الأيديولوجيا القومية خلال النصف الأول من القرن العشرين إلى مشروع صهيوني استيطاني-إحلالي في فلسطين، قلب المجال الحيوي للمشرق العربي. وقد برز كاستجابة لزعم توراتي يقوم على مبدأ "الاسترجاعية"، أي العودة إلى أرض الميعاد "فلسطين"، حيث تنشأ الدولة اليهودية على مدى جغرافي سياسي مفتوح يغطي مساحة فلسطين التاريخية، ويكون قادرًا على التحوّل إلى مشروع جيوسياسي يضمن السيطرة والتفوّق على كامل المجال الحيوي العربي.

وتدعم شواهد تاريخية عدة مأخوذة من التاريخ الصهيوني ديناميكيات التحول في الفكر الصهيوني. مثال ذلك موسى هيس، الذي كان في طليعة العناصر النخبويين اليهود الذين أسهموا في انطلاقة الحركة الصهيونية وفي رسم هدفها المركزي بتقوية الروابط الدينية بين اليهود المنتشرين في العالم. ففي كتابه "روما والقدس" الذي أصدره عام 1862، لم يتطرّق هيس إلى قيام دولة يهودية، ولكنه بحث السبل المثلى لتحقيق أحلام اليهود في إقامة نظام اجتماعي في فلسطين. فهو يرى أن مثل هذا النظام ينسجم مع الوظيفة اليهودية في قيادة العالم، وهي الوظيفة التي خصّ بها الله اليهود في التاريخ. وحسب زعمه، إن أوامر الله لليهود هي تطبيقهم القانون الذي أرسلهم الله ليعلّموه للشعوب الأخرى، وإن أقسى عقوبة فرضت عليهم كانت لانحرافهم عن الطريق الذي وضعته العناية الإلهية. أما عجزهم عن عبادة الله كأمة متكاملة فكان بسبب فقدهم لأرضهم.

كل الاتجاهات والنخب في إسرائيل تصب في خانة واحدة، وهي دولة بلا دستور حتى يتحقق شرط الدستور: حدود الدولة، ديانتها، قوميتها، ومن هو اليهودي -وهو نقاش ما زال محتدمًا حتى اللحظة. كل هذا يصطدم ويتنافى مع الإجماع الأممي على ضرورة قيام دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران، وعاصمتها القدس، إلى جانب التخلي عما يقارب مليوني فلسطيني داخل أراضي 48 وطردهم.

وفي مجال مثير للجدل، فإن مدلول يهودية الدولة خطير، إذ يعبر عن محو الهوية الفلسطينية والقضاء على دولة فلسطينية بجانب إسرائيل. من هنا يتبين وجود خطين لا يلتقيان: الخط الأول هو دولة فلسطينية مع الاعتراف العالمي بها، وهذا ما لا تريده إسرائيل. والخط الثاني هو محاولات إسرائيل نزع الشرعية والغطاء العالمي عن هذا الحلم وتبديده، بل محاولاتها المستمرة في التضييق على الفلسطينيين في كل مكان -في الضفة وغزة والداخل- من أجل دفعهم إلى التهجير الطوعي وترك الأرض لتتحقق نبوءة إسرائيل: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض". وهذا ما تفسره التوراة، وهي ما نصّت عليه العلاقة العضوية الحتمية في الفكر الديني التوراتي.

هذا يعني أن الأرض اليهودية ستظل خرابًا ومهجورة إن تم فصل الشعب المقدس عن أرضه، وأن هذا الشعب نفسه سيظل في حالة اغتراب وحزن، بل فساد وانحطاط إن ظل بعيدًا عن الأرض. فالأرض تكتسب الحياة من الشعب، والشعب يكتسب الحياة من الأرض. وهذه الرؤية تفسر الشعار الصهيوني "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، كما يأخذ النسق الحلولي الثنائي الصلب من الناحية البنيوية شكلًا مخروطيًا يتمثل في مركز العالم أرض إسرائيل، ووسطها تقف أورشليم القدس. ومن خلال هذا نستطيع أن نبرهن على مضي إسرائيل قدمًا في تهويد الضفة الغربية والقدس والداخل، بناءً على هذه الأفكار المتطرفة والمزيفة في الوقت نفسه.

في هذا السياق برز رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو على جميع من سبقوه في سدّة الحكم برفع لافتة "الإرهاب الفلسطيني" أمام عملية السلام بهدف عرقلتها ونسفها. لكنه أحرز قصب السبق في رفع لافتة يهودية الدولة، مشترطًا على الطرف الفلسطيني رفعها معه ليتسنى التقدم في إرساء السلام المنشود. ورد الطرف الفلسطيني -الذي وجد نفسه أمام مطلب غريب يركز على طابع الدولة وليس على

إصرار إسرائيل على تعريف نفسها كـ«دولة يهودية» يكشف معضلة دستورية عميقة إذ لا تزال بلا دستور يحدد حدودها وقوميتها وديانتها بينما يبقى سؤال «من هو اليهودي؟» محل جدل محتدم

الدولة نفسها- مرة تلو الأخرى بالرفض وبأشكال وصيغ مختلفة.

قد يبدو المشهد السياسي الإسرائيلي متوحد الرؤى، خاصة في ما يتعلق بالموقف من يهودية الدولة، كما أفرزت صيرورة إسرائيل في العقدين الأخيرين اليمين الراديكالي الذي يحكمها الآن، والذي بدأت تتشكل ملامحه في السنوات الأخيرة وزاد بعد 7 أكتوبر. هذا اليمين ينادي بطرد الفلسطينيين علنًا عبر سعيه لإحداث تعديلات على الجهاز القضائي وصولًا إلى فرض يهودية الدولة. ويسعى "اليمين المتطرف" بشقيه -نتنياهو وقيادات المتدينين الحريديم واليمين الديني القومي- مستغلين أجواء الحرب، إلى بناء تحالفات يمينية واسعة وثابتة، قادرة على استدامة حكمهم وفرض صورة نظام سياسي يتناسب مع إستراتيجيتهم؛ حيث يرفعون شعار "خطر تهديد هوية الدولة اليهودية ووجودها" لاستمرار تجنيد الشرعية للحرب الدائرة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الجمعة 2026/07/17
السنة 49 العدد 13863

سفيان رجب لـ«العرب»: الأدب يغيّر الواقع كما تنحت المياه الحجارة

الكاتب التونسي يؤكد أن النص الحقيقي يبدأ من الأسئلة لا من الشعارات

خط الشاعر والكاتب التونسي سفيان رجب مسيرة أدبية تتجاوز التصنيف الأجناسي للأدب، فأصدر كتبا في الشعر والقصة والرواية دون أن يفصل كتابة عن كتابة في عمقها، ولعل ذاك ما منحه فرادته. "العرب" كان لها مع الكاتب هذا الحوار حول عوالم الكتابة ورؤاه فيها وحولها.

إلياس الخطابي
كاتب مغربي

يعد الكاتب والشاعر سفيان رجب من الأصوات التونسية التي اشتغلت بالكتابة الإبداعية بوصفها أفقا للتأمل في الإنسان والعالم. في نصوصه تتقاطع أسئلة الذات والواقع والذاكرة، وتنبني رؤيته على حس جمالي يسعى إلى استنطاق التفاصيل اليومية والكشف عن المعاني الكامنة خلفها.

في هذا الحوار مع "العرب"، نقترب من عالمه الإبداعي ومن تصوره للكتابة باعتبارها فعلا جماليا وإنسانيا في الآن ذاته.

الأدب قضية خاصة

نسأل سفيان رجب بداية حول علاقته الأولى بالكتابة، وهل كانت خيارا واعيا أم قدرا لا مفر منه؟ ليجيبنا "أعتبر أنّ الكتابة كانتْ قدرًا لي، منذ طفولتي كنت أردّد بأنّني سأكون كاتبًا، وكنتُ أقترب من كلّ أسباب الكتابة، وأبتعدُ عن كلّ ما يُبعدني عنها، طلّقت بعد شهرين من زواجي لأنّ زوجتي فسخت لي ثلاثة مخطوطات من الحاسوب، دومًا أقف في صفّ الكتابة وأدفعُ عنّي كلّ ما يعاديها، أرى نفسي خلقتُ للكتابة ولا عالم لي خارجها، أقضّي يوميًا أكثر من خمس ساعات بين القراءة والكتابة، وحتّى حين أتمشّى أفكّر في الكتابة، ولا أبالغ إنْ قلت حتّى أثناء نومي أحلمُ بها".

> الكاتب عليه أنْ يقرأ تجارب الآخرين وأن يهضم قراءاته، حتّى لا تتحوّل نصوصه إلى مرايا لنصوص الآخرين

أما عن خصوصية صوته الأدبي فيقر بأن قراء أدبه هم المخولون للإجابة عن هذا السؤال، مضيفا "كما أن النّقّاد تكون إجاباتهم أكثر دقّة منّي، فالكاتب يصعب عليه الحُكم على ما يكتب. ما يمكنني الإجابة عنه هو أنّ الكاتب المخلص لتجاربه سيكون مختلفًا عن الآخرين ومتفرّدًا بطبيعته، فالتّفرّد ليس غاية إنّما هو نتيجة طبيعيّة لاختلاف وفرادة التّجربة الإنسانيّة. على الكاتب أنْ يقرأ تجارب الآخرين لكن عليه هضم قراءاته، حتّى لا تتحوّل نصوصه إلى مرايا لنصوص الآخرين".

يستلهم الكتّاب شخصياتهم عادة من الواقع، تسأل "العرب" سفيان رجب أين تبدأ حدود التخييل؟ ليعلّق "الواقع يؤثر فينا، وإنْ لذنا بالخيال، وتقنّعنا بالرّموز والأحاجي، ولذلك أغلب شخصيات رواياتي وقصصي يقترحها عليّ الواقعُ، لكنّي أعمل على تغيير ملامحها وسيرها، إلى الحدّ الذي تتحوّل فيه إلى شخصيّات أخرى، وأحيانًا أمزج بين شخصيّتين أوّ أكثر وأخلقُ شخصيّات جديدة".

ويتابع "في أحيان كثيرة يهاجمني البعض بتهمة أنّني وظّفتُ شخصيّته وسيرته في إحدى قصصي، وأتفاجأ بالتّقارب الكبير بينه وبين الشّخصيّة القصصيّة، رغم أنّني لمْ أقصد ذلك".

وحول قدرة الأدب على تغيير الواقع يرى الكاتب التونسي أنه إذا لمْ نفكّر في تغيير الواقع من خلال الأدب فلا جدوى من الكتابة أصلا. إنّ الأدب، في رأيه، يغيّر الواقع هذا لا شكّ فيه، لكنّ التّغيير يكون بصبْر وهدوء، إنّ الأدب يفعل في الواقع ما تفعّل الرّيح والماء في الحجارة، تظلّ تنحتها ببطء وبصبر عجيب، دون أنْ تلاحظ العين المجرّدة ذلك التّغيير.

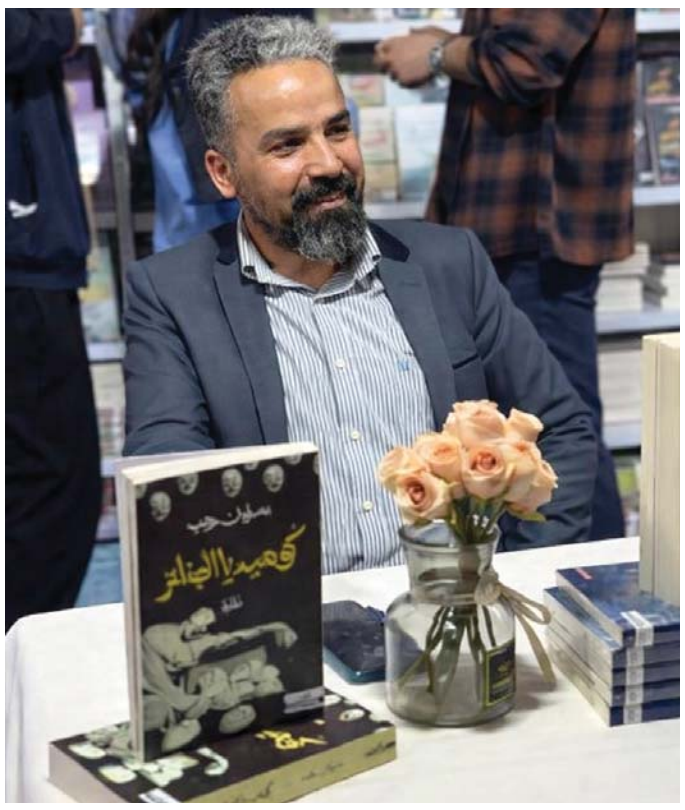

أكتب لأكون الآخر، وأقرأ ليكون الآخر فيَّ

نسأله هنا عن القضايا التي يشعر أنها تلاحقه ككاتب وتفرض حضورها في نصوصه، ويقر رجب بأن هذا السؤال عميق جدًا، رغم بساطته وهدوئه، إنّ الأدب الذي لا يحملُ قضيّة لا جذور له ولا أجنحة، لكنّ القضايا الحقيقيّة لا تكون جاهزة أو مستعملة إنّما على الكاتب أنْ يخلقها، أو بمعنى أعمق يكتشفها.

ويضيف "ما كُنّا نتوهّم، خلال نصوصنا الأولى، أنّها قضايانا الكبرى، سنكتشف بعد أنْ ننضج أنّ تلك القضايا لا تخصّنا، هي قضايا غيرنا، ولنْ نضيف إليها شيئًا غير الشّعارات الفارغة، ثمّ نكتشفُ بتعمّقنا في قراءة أنفسنا وقراءة الآخر أنّ قضايانا الحقيقيّة تعيش معنا مهمّشة، دون أنْ ننتبه إلى ذلك، سندرك لحظتها أنّ الأسلوب قضيّة، وأنّ الخصوصيّة الحضاريّة والعمل على تطويرها وفتحها على العالم قضيّة، ومحاكمة التّاريخ بأدوات فنيّة مرنة وذكيّة قضيّة، وأنّ التّخييل قضيّة".

الحواجز والمشي والقفز

حول كيفية تعامله مع فكرة القارئ، هل يكتب له أم يكتب لنفسه أولا؟ يقول رجب "الجواب ليسَ محسومًا، فأنا أكتب لنفسي وللآخر، عقلي شريحة ذاكرة إنسانيّة أحاول أنْ أملأها بما أقدر عليه من المعرفة الإنسانيّة، من خلال القراءة والكتابة أيضًا، وبالقدر الذي تكون فيه تلك الشريحة موسوعيّة بقدر ما أفهم ذاتي وأستوعب الآخر.. هذه فلسفتي في الكتابة، أكتب لأكون الآخر، وأقرأ ليكون الآخر فيَّ. هذا فهمي للكتابة بوصفها محاولة جادّة لتشريح الوجود الإنسانيّ، وليست مجرّد براهين تحاول أنْ تُثبت فيها للآخر طريقة تفكيرك، أوْ تمارسُ فيها شطحاتك النّرجسيّة".

أما عن التحديات التي واجهته في مساره الأدبي، خاصة في بداياته، فيقول "التّحديات شرط مهمّ في طريق الأدب، والحواجز توضع لتعلّمنا القفز لا لتمنعنا من المرور، وهذا ما أفعله عادة مع 'تلاميذي في الكتابة'، أضعُ أمامهم حواجز فنيّة، فمن يكتسبُ القدرة على القفز ينجو، ومن لا يقدرُ على ذلك لا يستحق أنْ يكون كاتبًا. ما مررتُ به في حياتي من حواجز هو ما وهبني أجنحتي، تمكّنتُ بمرونة من عبورها ومن تحويلها إلى مادّة للكتابة، فالقارئ اللّبيبُ سيكتشفها من خلال النّصوص التي كتبتها، أمّا أصحاب الفضول البدائيّ فلا وقت لي لأطعمهم من فتات معاناتي على أوّل رصيف".

تتطرق "العرب" مع سفيان رجب إلى الحديث عن التحولات الرّقمية وتأثيرها على الكتابة والنشر، إذ يرى أن الأدب الحيّ يحمل روح عصره، أمّا ذاك الذي يجترُّ ما لفظه السّابقون فهو أدب منتهي الصّلاحيّة.

ويتابع "أسئلة جيلي تختلفُ بالضّرورة عن روح عصره، لذلك فإنّ المسألة لا تفترضُ حديثًا عن تحدّيات بقدر ما تفترضُ حديثًا عن طريقة وأسلوب توظيف 'هذا العالم الرّقميّ' في النّصّ الأدبي، واكتساب حساسيّات جماليّة جديدة، من خلال ذلك".

وبسؤاله إن كانت له طقوس أثناء الكتابة، أم أن النص يأتي في لحظات عفوية، يقول "أهمّ طقوسي في الكتابة هي المشي، حين أشعرُ أنّني مزدحم بالأفكار وأنّ نصًا جديدا بدأ ينضج في مطبخي الذّهنيّ أغادر بيتي وأمشي في الغابة. أهمّ حافز ومنشّط للكتابة عندي هو المشي. أمشي لمسافات طويلة وأفكّر، وأحيانًا أحدّث نفسي أوْ أتحاورُ مع شخصيّات روايتي الجديدة. بتلك الطّريقة كتبتُ أغلب نصوصي تقريبًا، ولأجل ذلك اخترتُ السّكن جنب الغابة التي تعوّدت على التّمشّي داخلها".

أخيرا، تسأل "العرب" الكاتب التونسي سفيان رجب عن المشروع الأدبي الذي يحلم بإنجازه ولم يتحقق بعد، ليجيبنا "أعمل على عمل روائيّ ألخّصُ به تاريخ تونس، ولا ينزاحُ عن أسلوبي وطريقتي في الكتابة الرّوائيّة، عمل يظهرُ في مخيّلتي مثل النّجم، يحتاجُ إلى جهد كبير في التّحليق، لكنّني قادرٌ على بلوغه".

محمد مشبال يحفر في سرديات المخيال البلاغي

علي حسن الفواز
كاتب سوري

تظل لغة النقد مثار إغواء دائم، واستفزاز يرهن وجوده بتمثيل السؤال والمراجعة، والإجراء الذي يجسّ المخفي في "النصوص السردية" عبر حمولاتها الرمزية والثقافية، وعبر مقاربة مستوياتها ونماذجها المتعددة، لاسيما في موضوعات تخص "الأخبار والسير والمغازي والروايات" بوصفها جزءًا من المجال السردي، وضمن سياق يكون فيه النقد طقسًا قرائيًا مفتوحًا على ما هو فاعل في تلك السرديات، حيث علاقتها ببلاغة المخيال البلاغي، وحيث دورها في إستراتيجيات الخطاب وتمثيلاته في توصيف الأجناس السردية.

في كتابه "في بلاغة النص السردي" الصادر عن دار صفصافة/ القاهرة 2026، يضعنا الناقد محمد مشبال إزاء حيوية التمثيل النقدي، في مراجعة تلك النصوص، وفي التعرّف على ما يقتضيه التحليل النقدي من إجراءات ينزع إليها الناقد في منهجه، وفي تقعيده لمفهوم "البلاغة الجديدة" من منطلق وظيفتها في تمثيل النقد، ومن إجراءاتها في توسيع مساحة اشتغالها، وتحويلها إلى فعل موازٍ يخص علاقتها بالنصوص السرديةً القدّيمة والجديدة، ومدى قدرتها على تقويض ما هو تقليدي ضمن تمثيل الأنماط اللغوية للصيغ والأبنية، و"المحسنات الأسلوبية"، وحتى لعلاقة البلاغة بالتمثيل الجمالي للخطاب.

تجاوز البلاغة القديمة

تدخل خصوصية الكتاب في مواجهة نقدية مع التاريخ، ومع مركزية البلاغة ذاتها، حيث يكون تجاوز عقدة "البلاغة القديمة" تمثيلا نسقيًا لما ينبغي أن تكون عليه البلاغة الجديدة من تمثيل "لا محدود" ولا نهائي للنظام الثقافي واللغوي، والتعرّف على مدى ضرورتها في تجديد الأدوات والوسائط، وفي الأطروحات التي يمكن استثمارها في تغذية الدراسات البلاغية، من خلال إثراء فاعليتها في تأهيل الخطاب اللغوي جماليًا ومعرفيًا، وصولًا إلى إثارة وتحفيز إغواء التلقي والقراءة.

اعتمدت منهجية الكتاب توزيعه على قسمين: "نظري وعملي"، حيث يُعنى الأول بما يتعلق بتاريخية المفهوم، وبمرجعياته الثقافية والنظرية، بوصف أن البلاغة لها جذور عميقة -حسية وجمالية وتأثيرية- في الذائقة العربية، وأن تمثيلها في النص يمنحه طاقة التأثير، عبر التعرّف والتموضع في تمثيل هويته، وفي وجوده داخل النسق الثقافي للخطاب.

أما في القسم الثاني "الإجرائي"، فإن الناقد عمد فيه إلى اختيار وحدات سردية معينة، أراد من خلالها اختبار تمثلاته النقدية، ومنهجيته في التعاطي مع الأجناسية السردية، فاختيار "الخبر والسيرة الذاتية والرواية" للتطبيق يدخل في المجال الإجرائي لتوصيف فاعلية "المخيال البلاغي" وتمثيل جدّته في وحدات البلاغة الجديدة، التي تعني تقشير كثير من "الغلظة" القديمة في البلاغة التقليدية التي ترتبط بمجال استعاري له ظروفه التاريخية والجمالية والبنائية، وله جمهوره السياسي والأيديولوجي والبيئي.

النص واستثمار البلاغة

ما أورده الناقد مشبال في الفصل الأول يتبدى عبر عنوانه التوصيفي، حيث يتجه إلى تحويل هذا التوصيف إلى عتبة للاستثمار النقدي، من خلال توظيفها في التحليل السردي، وفي الكشف عن الحمولات البلاغية للنصوص من جانب، وعن مدى تأثيرها، بوصف التأثير هنا بلاغة موازية، من جانب آخر.

ويذهب في اتجاه يتحول فيه التأثير إلى دافع لمراجعة "هوية النص" ومدى جدّته، ومغايرته للمألوف والنمطي، وكذلك مراجعة تقانته البنائية، بوصف النص هيكلًا جماليًا تحكمه مجموعة علاقات وأبنية، يمكنها أن توسّع مساحة التأثير على القارئ، وعلى استجابته وتواصله عاطفيًا وفكريًا، وعلى نحو تكون فيه بلاغة النص تمثيلًا نفسيًا لذلك التأثير والقبول، وحتى الإقناع، والتلذذ بما يقترحه هذا النص أو ذاك من إحالات وإشارات، ومن دافع يختلط فيه الجمالي والحسي بالأيديولوجي والسياسي والديني، وغيرها من الاستغراقات التي تأخذ النص إلى الآخر، الذي يمكن أن تعيش تلقيه عبر المتعة والتصديق والخوف والدهشة والسخرية والانفعال.

جملة البلاغة ليست جملة تتحرك في فراغ، إنها جملة وجود، وإثارة، وخطاب، وهناك من يجعلها جملة تأسيس للنص الذي يجعل من "الإقناع" هدفًا سياسيًا، أو دينيًا، أو أيديولوجيًا، يتوخى الحصول على التأييد والرضا والقبول والتشهي، لاسيما وأن هناك من يستعيد ذاكرة المنبر البلاغي، عبر تحويل البلاغة إلى ما يشبه "الخطبة" في المكان السياسي أو المكان الديني أو الانتخابي.

وهناك من يحولها إلى "مرافعة" حقوقية أو إيحائية، حيث يغمرها بقوة التعبير والمثال والوصية والحديث والشعر والإرجاء، كما يحدث في صياغة وتمثيل الخبر عبر الدهشة والجدة والمفارقة والإثارة، وكذلك عبر القصص والحكايات والنوادر الساخرة، التي يبغي من خلالها "البلاغي السارد" إحداث الصدمة والدهشة والمفارقة، واستغواء الجمهور عبر هز مشاعره، أو إثارة مخاوفه، أو فضوله، ومتعته، وإشباع غرائزه المكبوتة.

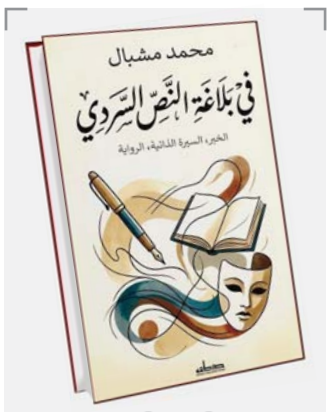

كتاب «في بلاغة النص السردي» يكشف تحولات البلاغة الجديدة ورهاناتها في مقاربة الخطاب السردي القديم والمعاصر

ما أراده مشبال في معالجته النقدية لن يكون بعيدًا عن وضع "النص البلاغي" في التداولية الحديثة، وعن مدى تمثّله لإجراءات البلاغة الجديدة، وإلى ما هو فاعل في الحقول المعرفية التي يمكن أن تكون جزءًا من فاعلية "الاستثمار البلاغي" على مستوى توسيع مساحة التأثير، وعلى مستوى علاقتها بنظرية "اللغة العامة" بتوصيفها السوسيري، أو على مستوى علاقتها بنظرية "أفعال الكلام" بتوصيف جون سيرل.

ويجعل ذلك من حديث البلاغة الجديدة جزءًا من الحديث عن اللغة/ الوجود كما يراها هيدغر، واللغة/ المعنى كما أرادها الجرجاني، واللغة/ المبنى كما ذهب إليها الجاحظ، إذ تحمل اللغة معها حياتها، وقوة تداولها، وفاعلية تأثيرها في الجماعة، وفي النظام/ النسق، وفي الإحالات إلى ما هو غائر ومخفي أو "مسكوت عنه"، وكذلك إلى السيمياء في تمثيلها العلاماتي، وفيما ينبغي تمثيله في الواقع أو في الخطاب، وهو ما عمد إليه مشبال في اعتماده أطروحة أوستن عبر تقسيمه لأفعال الكلام، حيث "القول والإنجاز والتأثير"، وحيث يكون هذا المُركّب هو التمثيل الإشهاري لفكرة "البلاغة الجديدة"، ولما تصنعه من قطيعة أو صدمة أو أثر له جدواه وأهدافه في الإقناع والتأثير والتجاوز.

البلاغة ورهانات التجديد

قد يبدو واضحًا أن الناقد مشبال، في حديثه عن البلاغة، ينحاز إلى المدرسة الفرنسية وإلى مرجعياتها النظرية، بوصفه جزءًا من المشروع "الفرانكفوني" الذي يجعل من هذه البلاغة مجالًا للحجاج والجدل والمراجعة، ولوضع المفهوم البلاغي إزاء عالم ينفتح على عوالم تُعنى بالبلاغة كجزء من العناية بتاريخها، وبتعظيم مواردها اللسانية في تأهيل الاستعدادات البلاغية لتقبّل الوجود، وحتى في تمثيل ما هو رمزي في الإثراء المعرفي والفلسفي، وفي إيجاد صيغ تنافذية تتبادل مجالاتها في الدرس الأكاديمي، وفي المجال الفيلولوجي، مع مراجع لها كثافة لغوية بمستويات معرفية وتاريخية، مثل المراجع الأنكلوسكسونية، كما يقول المؤلف.

من أبرز التعالقات التي اشتغل عليها مشبال ما ارتبط بأدبيات التأثير البلاغي، حيث تحول "النص الأدبي" إلى مجال للاختبار، وللتأثر، وحتى لتمثيل البلاغة الأدبية في صياغة الخطابات السياسية والدينية والحقوقية، وحتى المشاغل المسرحية والدرامية، حيث يتحول المخيال الأدبي إلى بلاغة ساندة، وإلى مرجل شفرات يمور بالعواطف والإحالات والرؤى، وعلى نحو يكون فيه المتخيل البلاغي قرينًا بفاعليات تمثيل "المتخيل السردي" في التعاطي مع الروايات النفسية والتاريخية وذات المرجعيات الأسطورية والميثولوجية.

الإجراء النقدي إزاء هذه المعطيات لا يكتفي بالتحفيز على توسيع مساحة التحليل فحسب، بل يقوم بتجديد آليات النقد ذاته، حيث فاعلية "القارئ العمدة" بتوصيف ريفاتير، وحيث استدعاء أدوات نظرية "القراءة والتلقي" لكسر التوقع، ولسد الفراغ، ولإيقاظ المخبوء النفسي، وكلها تتطلب وجود تداخل بلاغي لا يكتفي بذاكرة البلاغة القديمة، بل بما يتبدى فيها من خلال الإجراءات التي يصنعها المؤلف، وما يصنعه القارئ أو الناقد عبر تمثلاتها في "الجملة النحوية والصرفية" في إحالاتها الفيلولوجية، وكذلك عبر تمثلاتها في "الجملة الثقافية" التي تستبطن النسق الغائب والمقموع، والمحمول على دلالات متعددة.

مثلما تستدعي حيازة المعرفة النظرية التي تُعنى بصناعة النص، وحيازة القدرة على التحليل البلاغي من خلال الأدوات والآليات، التي تتعزز عبر المنهج والنظرية، بعيدًا عن أوهام التاريخ البلاغي الذي تركنا عند سيرة "قس بن ساعدة"، أو عند فحولة الخطباء والدعاة وأصحاب الوصايا.

ناقد يؤسس لبلاغة مغايرة

عزيزة العراقي لـ«العرب»: «فوتو طنجة» يمنح الصورة الفوتوغرافية روحها الخاصة

الضوء في طنجة يحمل دائما قصة جديدة مبهرة للمصور والمتفرج

في حوار مع صحيفة "العرب" تتحدث عزيزة العراقي، مديرة غاليري "كانت"، عن مهرجان "فوتو طنجة"، وعن أهمية التصوير الفوتوغرافي كوسيلة للتعبير وحفظ الذاكرة، كما تكشف عن علاقتها العميقة بمدينة طنجة التي رافقتها منذ طفولتها، وتحولت مع مرور السنوات إلى مصدر إلهام أساسي في مسارها الثقافي والفني.

عبدالرحيم الشافعي
ناقد سينمائي مغربي

يحتضن غاليري "كانت" في قلب مدينة طنجة فعاليات الدورة الأولى من مهرجان فوتو طنجة، في تجربة فنية جديدة تحتفي بالصورة الفوتوغرافية وتعيد قراءة الذاكرة البصرية للمكان. يأتي هذا الموعد الثقافي ليمنح التصوير الفوتوغرافي مساحة للحوار بين الماضي والحاضر، وبين التجارب المحلية والدولية، عبر أعمال تستعيد علاقة الإنسان بالمدينة والضوء والذاكرة.

أكدت الفنانة عزيزة العراقي، مديرة الغاليري، أن مشاركة غاليري "كانت" في الدورة الأولى من مهرجان فوتو طنجة تمثل لحظة استثنائية بالنسبة إليها وبالنسبة إلى الفريق العامل داخل الغاليري، معبرة عن اعتزازها بالمساهمة في انطلاق مشروع ثقافي يحتفي بفن التصوير ويمنحه موقعا مهما داخل المشهد الفني للمدينة. وأوضحت أن اختيار احتضان هذا الحدث داخل فضاء الغاليري يحمل دلالة خاصة، لأن التصوير الفوتوغرافي يرتبط بشكل عميق بفكرة الذاكرة وتسجيل اللحظات والتحولات التي تعيشها المجتمعات.

وقالت إن الصورة لا تقتصر على الجانب التقني أو الجمالي فقط، وإنما تحمل قدرة كبيرة على سرد القصص وتوثيق التجارب الإنسانية، مشيرة إلى أن كل صورة تمنح المتلقي فرصة لاكتشاف زاوية جديدة من المكان أو الإنسان أو اللحظة. وأضافت أن المدن العريقة تحتاج دائما إلى من يعيد النظر إليها عبر عدسات مختلفة، لأن التفاصيل اليومية التي قد تبدو عادية تحمل في داخلها طبقات متعددة من التاريخ والمشاعر والذكريات.

وأوضحت الفنانة أن اختيار عنوان "لمسة الضوء" جاء من الرغبة في التعبير عن العلاقة الخاصة التي تجمع الفنان بالضوء، مستحضرة الفكرة التي طرحها الفنان الفرنسي إيجين ليروي العلاقة الحسية بين المبدع والعمل الفني، مؤكدة أن نقل هذه الفكرة إلى عالم التصوير الفوتوغرافي كان اختيارا طبيعيا، لأن الضوء يمثل جوهر الصورة والعنصر الذي يمنحها الحياة والحركة والروح.

وكشفت عزيزة العراقي أن طنجة تمتلك خصوصية ضوئية نادرة تجعلها مدينة مختلفة بالنسبة إلى المصورين والفنانين، موضحة أن ضوء البوغاز يتغير باستمرار خلال ساعات اليوم، وأن انعكاساته على البحر والمباني القديمة ووجوه السكان تمنح المدينة مشاهد متجددة لا تنتهي. وأضافت أن أحياء طنجة القديمة، بجدرانها وتفاصيلها المعمارية وذاكرتها الممتدة عبر الزمن، تقدم مادة بصرية غنية لكل فنان يبحث عن العلاقة بين الضوء والمكان.

> طنجة مصدر دائم للإلهام وفضاء ساهم في تشكيل شخصيتي ورؤيتي الفنية وهي جزء أساسي من تكويني الثقافي والإنساني

وأشارت إلى أن مهرجان فوتو طنجة يجمع بين تاريخ التصوير الفوتوغرافي في المدينة، الذي يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر مع بدايات الأستوديوهات الأولى، وبين التجارب المعاصرة التي تقدم مقاربات جديدة للصورة، معتبرة أن هذا اللقاء بين الذاكرة والتجديد يمنح المهرجان قيمة خاصة، لأنه يربط بين تاريخ طنجة البصري وبين مستقبل التصوير فيها.

وتحدثت العراقي عن خصوصية موقع غاليري "كانت"، مؤكدة أن المكان نفسه يحمل طاقة بصرية مميزة بفضل موقعه في شارع الجبهة الوطنية وإطلالته المفتوحة على البحر والكنيسة المقابلة. وأوضحت أن هذا المشهد اليومي يمنح الفضاء علاقة خاصة مع المحيط، ويخلق حوارا مستمرا بين الفن والطبيعة والعمارة، وهو ما ينسجم مع روح المعرض القائم على الاحتفاء بالضوء والصورة.

وأضافت أن اختيار ستة مصورين للمشاركة في الدورة الأولى من المهرجان جاء نتيجة رغبة في تقديم تجربة متماسكة تمنح كل فنان المساحة الكافية للتعبير عن رؤيته الخاصة. وأكدت أن الهدف لم يكن جمع أكبر عدد من الأسماء، وإنما خلق حوار حقيقي بين تجارب مختلفة تحمل قراءات متعددة لطنجة ولعلاقة الإنسان بالمكان.

وأوضحت الفنانة المغربية أن كل مصور من المشاركين يحمل تجربته الخاصة وخلفيته الفنية والثقافية، وأن اختلاف المسارات يمنح المعرض غنى بصريا كبيرا. وأضافت أن بعض الفنانين ينتمون إلى تجربة أكاديمية مرتبطة بالمعهد الوطني للفنون الجميلة في تطوان، بينما يحمل آخرون تجارب دولية متنوعة تجمع بين خلفيات مغربية وأجنبية، وهو التنوع الذي يمنح الصورة داخل المعرض أبعادا متعددة.

وكشفت أن بعض الأعمال تركز على الحياة اليومية في شوارع طنجة والميناء والمدينة القديمة، بينما تهتم أعمال أخرى بجماليات الضوء الطبيعي في الجبال والشواطئ والمجالات المفتوحة. وأكدت أن هذه التجارب المختلفة تقدم صورة مركبة لطنجة، مدينة البحر والتاريخ والفنانين والتعدد الثقافي، مدينة تتغير باستمرار مع احتفاظها بروحها الخاصة.

وأضافت أن الدورة الأولى اختارت التركيز على عدد محدود من المشاركين حتى يحصل كل عمل على الاهتمام الذي يستحقه، موضحة أن قيمة المعرض تكمن في قوة التجارب الفنية وعمقها وقدرتها على خلق تفاعل مع الجمهور، وليس في عدد الأعمال أو الأسماء المشاركة.

وتحدثت عزيزة العراقي عن الجمهور الذي تتوجه إليه هذه الدورة، مؤكدة أن المهرجان يستقبل محبي التصوير والفن المعاصر والباحثين والنقاد، لكنه في الوقت نفسه يطمح إلى الوصول إلى جمهور أوسع لا يقتصر على المتخصصين. وأوضحت أن الصورة لغة مفتوحة يمكن لكل شخص أن يتفاعل معها، سواء كان طالبا في مجال الفنون أو شابا مهتما بالصورة الرقمية أو زائرا يبحث عن تجربة ثقافية مختلفة.

وأشارت إلى أن تنظيم المهرجان خلال فصل الصيف يمنحه فرصة للقاء جمهور متنوع، لأن طنجة تستقبل خلال هذه الفترة زوارا من مختلف المدن المغربية ومن الخارج. وأضافت أنها تأمل أن يجد كل شخص يزور المعرض شيئا قريبا منه داخل الصور، سواء كان ذكرى شخصية أو إحساسا خاصا أو اكتشافا جديدا لمدينة يعتقد أنه يعرفها.

وأكدت الفنانة أن طنجة تمثل بالنسبة إليها مصدرا دائما للإلهام وفضاء ساهم في تشكيل شخصيتها ورؤيتها الفنية. وقالت إنها وصلت إلى المدينة وهي في عامها الأول برفقة والدها المنحدر من فاس ووالدتها ذات الأصول الإسبانية، موضحة أن ولادتها في إسبانيا لم تمنع طنجة من أن تصبح جزءا أساسيا من تكوينها الثقافي والإنساني.

وتحدثت عن نشأتها بين ثقافتين متداخلتين، الثقافة المغربية الغنية بجذورها وتقاليدها، والانفتاح الأوروبي الذي منحها رؤية واسعة للعالم. وأوضحت أن هذا التعدد الثقافي ساعدها على بناء علاقة خاصة مع الفن، وعلى فهم قيمة الحوار بين الهويات المختلفة، وهي الفكرة التي ترافق أيضاً رؤيتها لغاليري "كانت" ودورها داخل المدينة.

وكشفت أن والدها كان يحمل روحا رياضية ومبادرة، وأنه اقتنى فضاء غاليري "كانت" الذي كان يحمل سابقا طابعا تجاريا مرتبطا بفترة المنطقة الدولية في طنجة. وأضافت أنه بعد وفاته سنة 2018 قررت تحويل المكان إلى فضاء فني معاصر يحافظ على ذاكرته ويواصل روح الإبداع التي كان يؤمن بها.

طنجة مصدر دائم للإلهام وفضاء ساهم في تشكيل شخصيتي ورؤيتي الفنية وهي جزء أساسي من تكويني الثقافي والإنساني

إن تجربة الغاليري بدأت من خلال الجمع بين التصميم والأثاث الفني والعروض الثقافية، قبل أن تتطور تدريجيا لتصبح فضاءً متخصصا في احتضان التصوير والنحت والرسم ومختلف أشكال التعبير البصري. وأشارت إلى أن المكان أصبح اليوم نقطة لقاء بين الفنانين والجمهور، وفضاءً للحوار حول القضايا الفنية والثقافية.

وعبرت عن ارتباطها اليومي بالمشهد الذي تراه من نافذة الغاليري، موضحة أن البحر والكنيسة المقابلة يشكلان بالنسبة إليها صورة حية عن التعايش بين الحضارات والثقافات. وأضافت أن هذا المشهد يمنحها إحساسا دائما بقوة طنجة كمدينة قادرة على الجمع بين الاختلافات وتحويلها إلى مصدر جمال وإبداع.

وقالت إنها أدركت مع مرور السنوات حجم التأثير الذي تركته طنجة في شخصيتها وعلاقتها بالفن، مؤكدة أن المدينة لا تختصر في موقع جغرافي، وإنما تمثل حالة إنسانية وروحية تجمع بين الذاكرة والانفتاح، وبين الماضي والحاضر والمستقبل.

وأشارت إلى أن شهادات العديد من الكتاب والفنانين الذين عاشوا في طنجة تؤكد دائماً قوة حضور المدينة وتأثيرها الإبداعي، معبرة عن ثقتها بأن المصورين المشاركين في مهرجان فوتو طنجة سيكتشفون من خلال عدساتهم جوانب جديدة من هذه المدينة التي تمنح الفنان دائما فرصة لإعادة النظر والاكتشاف.

وقالت بابتسامة هادئة إنها تتمنى أحيانا لو كان بإمكانها لقاء هنري ماتيس وسؤاله عن الطريقة التي رأى بها طنجة، وعن السر الذي جعله يتفاعل مع ضوئها وألوانها ومشاهدها.

وأكدت عزيزة العراقي أن غاليري "كانت" لا يمثل مجرد فضاء لعرض الأعمال الفنية، وإنما مكانا للحوار الثقافي والتبادل الإبداعي، وفضاء يحمل روح طنجة المنفتحة على العالم. وأضافت أن الفن يساهم في بناء جسور التواصل بين الناس والثقافات، وأن مهرجان فوتو طنجة يشكل خطوة جديدة لتعزيز حضور الصورة والفنانين والجمهور داخل المشهد الثقافي للمدينة. وعبرت عن دعوتها لكل المهتمين بالفن إلى زيارة المعرض واكتشاف الأعمال المشاركة، مؤكدة أن الضوء في طنجة يحمل دائما قصة جديدة، وأن الصورة قادرة على منحنا لحظات لا تنسى وقراءات مختلفة للمكان والإنسان.

طنجة رسمت جزءا كبيرا من مسيرتي

المعرض العام الليبي: رؤى معاصرة تبدد الانقطاع وتعزز الاستمرار

عدنان بشير معيتيق
فنان تشكيلي ليبي

على الرغم من تأخر تنظيم ملتقى سنوي منتظم يلتزم بمواعيده الثابتة، ليكون مساحة حرة يلتقي فيها الفنانون التشكيليون الليبيون من رواد، وأجيال معاصرة، ومواهب جديدة واعدة، حيث يظل التفاعل الإنساني والمعرفي بينهم هو الهدف والغاية الأسمى في لقاءات جانبية قبل عملية العرض ذاتها، فإن هذا الحدث يأتي ليرمم فجوة التلقي لدى الجمهور الفني.

فالجمهور الليبي بات أكثر شغفا وتفاعلا مع الإنتاج البصري المحلي نتيجة تنمية الذائقة التشكيلية عبر الفضاء الرقمي وما يعرض فيه من أعمال فنية محلية وعالمية، وغيابه الطويل عن مشهد جامع يختزل الحركة التشكيلية الليبية بمختلف اتجاهاتها وأنواعها، من رسم وتصوير ونحت وفنون "الأوبجكت" (Object (Art المعتمدة على الحديد والمواد المختلفة، وصولاً إلى الفنون المعاصرة والتقنيات الرقمية والفيديو آرت والحروفية والخزف والخط العربي، والتي تبلورت رؤاها في السنوات الماضية فتعددت واختلفت وتمايزت من حيث الكم والنوع والجودة.

إن الحديث عن بواكير النشأة الأولى للحركة التشكيلية الليبية يستوجب منا العودة بالذاكرة والإشارة بتقدير كبير إلى تجربة "نادي الرسامين بطرابلس" وما تلاها من معارض جماعية لافتة شهدتها فترة الستينات والسبعينات من القرن الماضي كقواعد تأسيسية أولى.

منذ تلك البدايات الصبورة، خاض الفنانون الليبيون محاولات مستمرة لحفظ التراكم المعرفي للمعرض الوطني العام ورسم تاريخه الخاص عبر محطات ممتدة عكست جغرافيا الإبداع الليبي، نذكر منها "معرض النهر الصناعي" الذي احتضنته مدينة بنغازي في بداية تسعينات القرن العشرين، يضاف إلى هذا الأرشيف الحي المعارض الجماعية الكبرى التي احتضنتها مدينة مصراتة في الأعوام 1995، و1996، ثم معرض عام 2004 (وذلك قبل التغيير السياسي الذي شهدته البلاد عام 2011)، وصولاً إلى "المعرض الوطني الجامع" الذي أقيم في قاعة "السلفيوم" بمدينة بنغازي عام 2007، والذي شكّل واحداً من أهم المفاصل التشكيلية في تلك الفترة، لتتحدد معالم هذا التاريخ صعوداً حتى عام 2014، حين أقيم آخر معرض عام في مدينة مصراتة وضم مبدعين من شتى أنحاء البلاد.

ولا يمكننا ونحن نستحضر هذا التاريخ، أن نغفل المحطات الأهلية والخاصة التي قادت حركة العرض النوعي، لعل أبرزها تلك المعارض المختارة من تجارب الروادوتجارب أخرى معاصرة في "دار الفنون" بطرابلس خلال فترة التسعينات، وتحديداً معرض "نوافذ" الذي رسخ عبر سنوات طويلة فكرة الفن الناضج والتجارب المنتقاة بعناية فائقة، ليمثل الحراك التشكيلي الليبي في الداخل ويقدمه للجمهور المحلي والأجنبي، مستفيداً من وجود جالية واسعة من الجنسيات الأوروبية التابعة للسفارات والشركات العالمية الكبرى في العاصمة، في التفاعل وشراء الأعمال الفنية.

تُضاف إلى ذلك الأنشطة المتنوعة والورش الفنية المرافقة التي احتضنتها حواضن فنية وثقافية رائدة، مثل "بيت إسكندر للفنون"، و"دار حسن الفقيه"، والتي قدمت ورشاً للطباعة والتعليم ومسابقات الرسم للمواهب والناشئة الفنية.

> الجمهور الليبي بات أكثر شغفا وتفاعلا مع الإنتاج البصري المحلي نتيجة تنمية الذائقة التشكيلية عبر الفضاء الرقمي

وبيت علي قانة الثقافي أول متحف شخصي لأعمال الفنان الراحل علي قانة وما يتبعه من أنشطة وأحداث فنية مختلفة تتجه نحو المعاصرة في الطرح والنوع من معارض وورش وعروض أفلام مختلفة الأنواع والاتجاهات لترسخ فكرة التنوع الثقافي والرقي الحضاري والمعرفي، إلى جانب الحراك البصري المتميز والمستمر منذ 10 سنوات رغم الأحوال غير المستقرة للوطن، الذي يقوده ملتقى "دواية" للحروفية والتواصل بين الداخل والخارج بين الفنانين والجمهور،وهي جهود أصحابها التي تبرهن على أن نبض الإصرار على النجاح والاستمرار ظل حياً عبر مختلف الأجيال.

اليوم، وتأسيسا على هذا الإرث الفني والنضالي الطويل الذي قاوم الانقطاع لسنوات، تحتضن طرابلس العاصمة، وتحديدا في أروقة "قصر الخلد" التاريخي، تظاهرة فنية وطنية طال انتظارها تحت عنوان "معرض رؤى معاصرة للفن التشكيلي الليبي".

هذا الحدث الكبير تنظمه وترعاه الهيئة العامة للسينما والمسرح والفنون، ممثلةً في المركز القومي للتراث والفنون، بالتعاون مع الجمعية الليبية للفنون التشكيلية ووزارة الثقافة والتنمية المعرفية، ليمثل وثيقة بصرية حية لأحدث نتاجات وتجارب التشكيليين الليبيين.

يشارك في المعرض الذي ينطلق يوم السبت 18 يوليو الجاري في قصر الخلد بمدينة طرابلس، 86 فنان وفنانة تنوعت أعمالهم ومشاركاتهم من الرسم والتصوير الزيتي والنحت والخزف والتصوير الفوتوغرافي، كما أن هناك ورشا للرسم الحر للفنانين تكون مساحة لقاء مثمرة ومساحة لتبادل الخبرات، وكذلك ورشا للهواة والأطفال لتطوير مهارات الرسم والتلوين.

وينظم المعرض ندوة مهمة حول الفن التشكيلي الليبي تحمل عنوان "من المحلية إلى الفضاء الرقمي.. أين يقف الفنان الليبي؟"، لتفكك أسئلة الراهن وتحولات العرض والتوثيق.

امرأة ليبية (لوحة عبدالرزاق الرياني)

العرب
الجمعة 2026/07/17
السنة 49 العدد 13863

الثمن الخفي للذكاء الاصطناعي

كيف تحولت مراكز البيانات إلى معركة جديدة بين التكنولوجيا والبيئة؟

لقد اعتاد العالم أن يقيس الثورات الصناعية بما تضيفه إلى الناتج المحلي، وعدد الوظائف، وحجم الاستثمارات. لكن الثورة الرقمية تفرض معيارًا جديدًا: أثرها على الإنسان والطبيعة معًا.

علي قاسم
كاتب سوري

لطالما ارتبطت الثورات الصناعية بصورة مألوفة في الذاكرة البشرية: مداخن شاهقة تنفث الدخان، ومصانع لا تنام، ومدن تنمو حول مناجم الفحم ومصادر الطاقة، لكن الثورة التي يعيشها العالم اليوم تبدو مختلفة تمامًا. فهي لا تصدر ضجيجًا، ولا تملأ السماء بالدخان، بل تعمل في صمت، داخل مبانٍ ضخمة مغلقة، تخفي وراء جدرانها آلاف الخوادم التي أصبحت العقل النابض للاقتصاد الرقمي الجديد.

المصانع الجديدة للثورة الرقمية

قد يبدو الذكاء الاصطناعي، للوهلة الأولى، تقنية بلا وزن. فهو يجيب عن الأسئلة في ثوانٍ، ويكتب النصوص، ويحلل الصور، ويقترح الحلول، وكأنه يعيش في فضاء افتراضي منفصل عن العالم المادي. لكن هذه الصورة مضللة إلى حد بعيد. فما يسمى بـ"السحابة" ليس سحابة حقيقية، بل شبكة مترامية من مراكز البيانات العملاقة، الممتدة عبر القارات، والتي تحتاج إلى أراضٍ واسعة، ومحطات كهرباء، وشبكات مياه، وأنظمة تبريد تعمل بلا توقف. وكلما ازداد اعتماد العالم على الذكاء الاصطناعي، ازداد اعتماده على هذه البنية التحتية التي لا يراها المستخدم العادي.

> **الوجه الأكثر حساسية لا يتعلق بالبيئة وحدها بل بما بات يُعرف بـ«العدالة البيئية» ومَن المستفيد الحقيقي من الذكاء الاصطناعي؟**

ولم يعد هذا التحول مجرد توقع نظري، بل أصبح واقعًا اقتصاديًا وجيوسياسيًا. فخلال الأعوام الأخيرة أعلنت شركات التكنولوجيا الكبرى عن استثمارات بمئات المليارات من الدولارات لتوسيع قدراتها الحاسوبية. وتتسابق دول مثل الولايات المتحدة والصين ودول أوروبية وخليجية لاستقطاب مراكز البيانات، بعدما أصبحت تُعامل باعتبارها بنية تحتية إستراتيجية لا تقل أهمية عن الموانئ أو المطارات أو شبكات الطاقة. لقد تحول امتلاك القدرة الحاسوبية إلى أحد معايير القوة في القرن الحادي والعشرين، تمامًا كما كان امتلاك النفط أو الصناعات الثقيلة معيارًا للقوة في القرن الماضي.

لكن هذا السباق يخفي مفارقة تستحق التوقف عندها. فالذكاء الاصطناعي الذي يُقدَّم بوصفه أداة لتحسين الكفاءة وتقليل الهدر قد أصبح، في الوقت نفسه، أحد أسرع القطاعات نموًا في استهلاك الطاقة والموارد الطبيعية. وتشير تقديرات الوكالة الدولية للطاقة إلى أن الطلب على الكهرباء من مراكز البيانات مرشح للارتفاع بصورة كبيرة خلال السنوات المقبلة، مدفوعًا بالانتشار السريع لتطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي. فالنماذج اللغوية الضخمة، على سبيل المثال، تحتاج إلى قدرة حاسوبية تفوق بمراحل ما كانت تحتاجه تطبيقات الإنترنت التقليدية، سواء في مرحلة التدريب أو أثناء الاستخدام اليومي.

ولأن الطاقة وحدها لا تكفي، فإن الأرض نفسها أصبحت جزءًا من المنافسة. فمراكز البيانات الحديثة ليست مجرد غرف مليئة بالكمبيوترات، بل مجمعات صناعية متكاملة تمتد أحيانًا على عشرات الهكتارات، وتحتاج إلى بنية تحتية كهربائية واتصالات ومياه يصعب توفيرها إلا في مواقع محددة. ولهذا بدأت أطراف المدن الكبرى، والمناطق الزراعية القريبة من شبكات الكهرباء، تتحول تدريجيًا إلى وجهة مفضلة لبناء هذه المنشآت.

وفي عدد من المدن الأميركية والأوروبية، تصاعدت اعتراضات السكان على هذا التوسع، ليس رفضًا للتكنولوجيا في حد ذاتها، بل خوفًا من آثارها على البيئة المحلية. فالأراضي الزراعية التي كانت تنتج الغذاء، أو المساحات الخضراء التي كانت تمثل متنفسًا طبيعيًا، بدأت تُستبدل بمبانٍ خرسانية ضخمة لا يدخلها إلا عدد محدود من العاملين، بينما تعمل داخلها ملايين المعالجات الإلكترونية على مدار الساعة.

وهنا يبرز السؤال الذي لم يكن مطروحًا قبل سنوات قليلة: هل نحن أمام شكل جديد من التصنيع، لكن بملامح رقمية؟

لقد اعتدنا أن ننظر إلى الثورة الرقمية باعتبارها نقيضًا للصناعة الثقيلة، لأنها لا تعتمد على خطوط الإنتاج التقليدية ولا على الدخان والمصانع. غير أن الواقع يشير إلى أن الاقتصاد الرقمي لا يقل احتياجًا إلى البنية التحتية المادية، بل ربما يعتمد عليها بصورة أكبر مما نتخيل. فكل تطبيق ذكي، وكل مساعد افتراضي، وكل منصة تعتمد على الذكاء الاصطناعي، يقف خلفها عالم كامل من الخوادم، والكوابل، والمحولات الكهربائية، وأجهزة التبريد، والرقائق الإلكترونية التي تُصنع من معادن نادرة يجري استخراجها من باطن الأرض.

بهذا المعنى، لم تُلغ الثورة الرقمية العلاقة بين التكنولوجيا والطبيعة، بل أعادت صياغتها. فبدل أن تقاس القوة الاقتصادية بعدد المصانع أو حقول النفط، أصبحت تُقاس بعدد مراكز البيانات، وقدرتها على معالجة المعلومات، وتأمين الطاقة اللازمة لها. إنها ثورة أقل ضجيجًا، لكنها أكثر تعطشًا للموارد.

ومن المفارقات اللافتة أن الكثير من المدن التي تسعى إلى جذب هذه الاستثمارات تجد نفسها أمام معادلة صعبة. فمن جهة، توفر مراكز البيانات استثمارات ضخمة، وتعزز مكانة المدينة في الاقتصاد الرقمي، وتدعم قطاعات التكنولوجيا والابتكار. ومن جهة أخرى، تفرض ضغوطًا هائلة على شبكات الكهرباء، وتستهلك كميات كبيرة من المياه، وترفع أسعار الأراضي، وتغير طبيعة المجتمعات المحلية. وهكذا يتحول المشروع الذي يُسوَّق باعتباره عنوانًا للمستقبل إلى مصدر لأسئلة جديدة حول العدالة البيئية، وتوزيع الموارد، وحدود النمو.

ولعل أكثر ما يميز هذه المرحلة أن المنافسة لم تعد تدور حول إنتاج الذكاء الاصطناعي وحده، بل حول القدرة على إطعامه بالطاقة. فالنموذج الأكثر ذكاءً ليس بالضرورة من يمتلك أفضل الخوارزميات فقط، بل من يجد الكهرباء والمياه والأرض الكافية لتشغيلها. ولذلك، فإن الصراع القادم قد لا يكون على البيانات وحدها، بل على الموارد التي تجعل البيانات قابلة للحياة.

وهنا تبدأ القصة الحقيقية. لأن التحدي لم يعد تقنيًا فقط، بل أصبح بيئيًا واجتماعيًا أيضًا.

من يدفع ثمن الثورة الرقمية؟

إذا كان القرن العشرون قد شهد معارك حول النفط، فإن القرن الحادي والعشرين قد يشهد معارك أكثر هدوءًا، لكنها لا تقل أهمية، حول الكهرباء والمياه والأراضي الصالحة لاحتضان البنية التحتية الرقمية. فكل مركز بيانات جديد لا يحتاج فقط إلى آلاف المعالجات الإلكترونية، بل يحتاج قبل ذلك إلى موردين أصبحا أكثر ندرة في عالم يتغير مناخيًا: الطاقة والمياه.

قد تبدو العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والمياه غريبة للوهلة الأولى، لكن الحقيقة أن الخوادم العملاقة التي تشغل النماذج الذكية تولد كميات هائلة من الحرارة، ولا يمكنها العمل بكفاءة من دون أنظمة تبريد متطورة. وفي كثير من المراكز يعتمد التبريد على المياه، سواء بصورة مباشرة أو عبر أنظمة التبريد التبخيري، ما يجعل هذه المنشآت تستهلك ملايين اللترات سنويًا. ومع تضاعف الطلب على خدمات الذكاء الاصطناعي، يتضاعف تلقائيًا الطلب على المياه، في وقت تعاني فيه مناطق واسعة في العالم من الجفاف وتراجع الموارد المائية.

ولعل المفارقة الأكثر إثارة أن بعض الشركات التكنولوجية اختارت إقامة مراكز بياناتها في ولايات أو مناطق تعاني أصلًا من ندرة المياه، مستفيدة من انخفاض أسعار الأراضي أو توافر شبكات الكهرباء. وهنا بدأت المجتمعات المحلية تطرح أسئلة لم تكن مطروحة قبل سنوات: هل ينبغي تخصيص موارد مائية محدودة لتبريد الخوادم بينما يواجه السكان قيودًا على استهلاك المياه؟ وهل يمكن اعتبار النمو الرقمي أولوية تتقدم على الأمن المائي؟

هذه الأسئلة ليست نظرية، بل أصبحت جزءًا من النقاش العام في عدد من الولايات الأميركية، كما برزت في بعض الدول الأوروبية التي تشهد توسعًا سريعًا في إنشاء مراكز البيانات. ففي لحظة يتحدث فيها العالم عن ضرورة ترشيد استهلاك المياه، تظهر صناعة جديدة تفرض طلبًا متزايدًا على المورد نفسه، وإن كان بصورة غير مرئية للمستخدم الذي لا يرى سوى شاشة هاتفه أو كمبيوتره.

ولا يقل ملف الطاقة تعقيدًا عن ملف المياه. فالتقديرات الصادرة عن الوكالة الدولية للطاقة تشير إلى أن مراكز البيانات، وعلى رأسها تلك المرتبطة بالذكاء الاصطناعي، ستصبح خلال السنوات المقبلة من أسرع القطاعات نموًا في استهلاك الكهرباء. وتذهب بعض الدراسات إلى أن تدريب نموذج واحد متقدم قد يحتاج إلى طاقة تعادل استهلاك آلاف المنازل خلال فترة زمنية محددة، فيما يتطلب تشغيل هذه النماذج بصورة يومية قدرة كهربائية مستمرة لا تعرف التوقف.

هذا الواقع دفع شركات التكنولوجيا إلى توقيع عقود طويلة الأجل لشراء الكهرباء من محطات الطاقة المتجددة، بل وإلى الاستثمار في مفاعلات نووية صغيرة أو مشاريع طاقة شمسية ورياح مخصصة لتغذية مراكز البيانات. ورغم أن هذه الخطوات تعكس وعيًا متزايدًا بالمشكلة، فإنها تكشف في الوقت ذاته حجم التحدي؛ فالعالم لا يحتاج فقط إلى مزيد من الكهرباء، بل إلى كهرباء نظيفة قادرة على مواكبة النمو الهائل في الطلب.

لكن القضية البيئية لا تتوقف عند حدود الطاقة والمياه. فهناك أيضًا البصمة الكربونية غير المباشرة التي تبدأ قبل تشغيل مراكز البيانات بسنوات. فتصنيع الرقائق الإلكترونية، واستخراج المعادن النادرة اللازمة لها، وبناء المنشآت الخرسانية العملاقة، ومد خطوط الكهرباء والاتصالات، كلها عمليات تستهلك موارد طبيعية وتولد انبعاثات كربونية يصعب تجاهلها.

ومن هنا، فإن الحديث عن "السحابة الرقمية" يصبح مضللًا إلى حد ما. فلا شيء في هذه الصناعة خفيف أو بلا أثر كما توحي التسمية. إنها تعتمد على سلسلة طويلة من الأنشطة الصناعية والتعدينية واللوجستية، تمتد من مناجم الليثيوم والكوبالت والعناصر الأرضية النادرة إلى مصانع أشباه الموصلات، ثم إلى مراكز البيانات المنتشرة حول العالم. وكل حلقة من هذه السلسلة تترك أثرًا بيئيًا واجتماعيًا يختلف من منطقة إلى أخرى.

غير أن الوجه الأكثر حساسية في هذه القضية لا يتعلق بالبيئة وحدها، بل بما بات يُعرف بـ"العدالة البيئية". فمَن المستفيد الحقيقي من الذكاء الاصطناعي؟ ومَن يتحمل كلفته؟

في كثير من الأحيان تحقق شركات التكنولوجيا العالمية أرباحًا هائلة من الخدمات الرقمية التي تقدمها لمليارات المستخدمين، بينما تتحمل المدن التي تستضيف مراكز البيانات الضغوط الواقعة على شبكات الكهرباء والمياه والطرق واستخدام الأراضي. وقد تجد بعض المجتمعات نفسها مضطرة إلى قبول هذه المشاريع تحت إغراء الاستثمار وفرص العمل، لتكتشف لاحقًا أن عدد الوظائف الدائمة محدود مقارنة بحجم الموارد التي تستهلكها هذه المنشآت.

وهذا يفتح الباب أمام نقاش سياسي يتجاوز الاقتصاد. فإذا كانت الثورة الصناعية الأولى قد دفعت العالم إلى سن قوانين لحماية العمال والحد من التلوث، فإن الثورة الرقمية تبدو بحاجة إلى جيل جديد من التشريعات ينظم علاقتها بالبيئة والموارد الطبيعية. فلا يكفي أن تحقق مراكز البيانات أرباحًا أو تدفع ضرائب، بل ينبغي أيضًا أن تخضع لمعايير واضحة تتعلق بكفاءة استهلاك الطاقة، وإدارة المياه، وإعادة استخدام الحرارة المهدرة، والتخلص من النفايات الإلكترونية، والإفصاح عن بصمتها الكربونية.

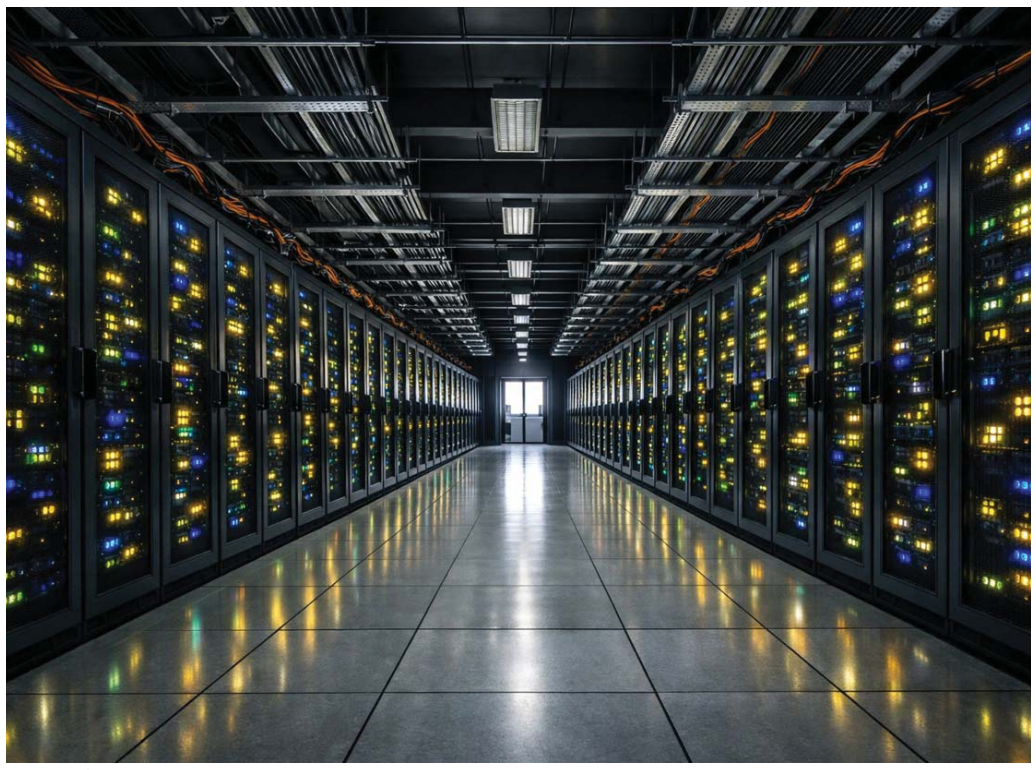

ثورة أقل ضجيجًا لكنها أكثر تعطشًا للموارد

وحتى الآن، تبدو هذه المنظومة التشريعية غير مكتملة في كثير من الدول. فسرعة التطور التكنولوجي تفوق سرعة استجابة القوانين، وهو ما يمنح الشركات مساحة واسعة للتحرك قبل أن تلحق بها الأطر التنظيمية. وبينما تتنافس الحكومات على جذب الاستثمارات الرقمية، قد تتراجع أحيانًا الأولوية البيئية أمام إغراءات النمو الاقتصادي.

لكن التاريخ يعلمنا أن كل ثورة تكنولوجية تحمل معها لحظة مراجعة. فالثورة الصناعية لم تبدأ بقوانين حماية البيئة، بل انتهت إليها بعد عقود من التلوث. والسؤال اليوم هو: هل يستطيع العالم أن يتعلم من أخطاء الماضي، أم أنه سيكررها بصيغة رقمية؟

هنا تحديدًا تتجاوز القضية حدود الذكاء الاصطناعي نفسه. فالمسألة لم تعد تتعلق بسرعة الخوارزميات أو دقة النماذج، بل بنموذج التنمية الذي يختاره العالم. هل ستكون الثورة الرقمية امتدادًا للنمو القائم على الاستنزاف، أم بداية لاقتصاد أكثر كفاءة وعدالة في استخدام الموارد؟

> **إذا كانت مراكز البيانات تمثل المصانع الجديدة للعصر الرقمي فإن السؤال الذي يفرض نفسه هو: من سيدفع ثمن هذه الثورة؟**

إن الإجابة عن هذا السؤال ستحدد ليس فقط مستقبل الذكاء الاصطناعي، بل أيضًا مستقبل العلاقة بين الإنسان والبيئة في عصر أصبحت فيه البيانات موردًا إستراتيجيًا لا يقل أهمية عن النفط، وأصبحت مراكز البيانات مصانع العصر الجديد، بكل ما تحمله هذه التسمية من فرص، ومن مسؤوليات أيضًا.

هل يمكن بناء ذكاء اصطناعي أخضر؟

كل ثورة تكنولوجية كبرى تفرض على البشرية سؤالًا أخلاقيًا قبل أن تفرض عليها سؤالًا اقتصاديًا. فالثورة الصناعية لم تكن مجرد اختراع للمحرك البخاري، بل كانت اختبارًا لقدرة الإنسان على التوفيق بين الإنتاج والعدالة الاجتماعية. وثورة النفط لم تكن مجرد اكتشاف مصدر جديد للطاقة، بل كانت بداية نقاش طويل حول الأمن والموارد والتغير المناخي. واليوم، يضع الذكاء الاصطناعي العالم أمام سؤال لا يقل تعقيدًا: هل يمكن بناء اقتصاد رقمي هائل من دون أن تتحول البيئة إلى الضحية الصامتة لهذا التحول؟

حتى الآن، لا تبدو الصورة سوداء بالكامل. فداخل شركات التكنولوجيا الكبرى، وفي مراكز الأبحاث، وفي المؤسسات الدولية، يتشكل إدراك متزايد بأن مستقبل الذكاء الاصطناعي لن يُقاس فقط بسرعة النماذج أو حجم الاستثمارات، بل أيضًا بقدرتها على التعايش مع حدود الكوكب. ومن هنا بدأت سباقات جديدة، لا تقل أهمية عن سباق تطوير الخوارزميات نفسها، هدفها ابتكار بنية تحتية أكثر استدامة.

أول هذه السباقات هو سباق الطاقة. فبدل الاعتماد على الشبكات التقليدية التي لا يزال جزء كبير منها يعمل بالوقود الأحفوري، تتجه شركات التكنولوجيا إلى توقيع اتفاقيات ضخمة لشراء الكهرباء المنتجة من الطاقة الشمسية وطاقة الرياح، كما تستثمر في حلول أكثر طموحًا مثل المفاعلات النووية الصغيرة التي توفر كهرباء مستقرة وخالية تقريبًا من الانبعاثات الكربونية. ولم يعد السؤال: من يملك أكبر مركز بيانات؟ بل أصبح أيضًا: من يستطيع تشغيله بأقل أثر بيئي ممكن؟

وفي الوقت نفسه، تتطور تقنيات التبريد بسرعة. فبعد عقود من الاعتماد على المياه، بدأت تظهر أنظمة تبريد مغلقة تعيد تدوير المياه بدل استهلاكها، وتقنيات تعتمد على التبريد بالسائل داخل الخوادم نفسها، بل وتجارب تستخدم الهواء الخارجي في المناطق الباردة لتقليل الحاجة إلى الطاقة. كما يجري استغلال الحرارة الناتجة عن مراكز البيانات لتدفئة الأحياء السكنية أو المنشآت العامة في بعض المدن الأوروبية، بحيث تتحول الطاقة المهدرة إلى مورد جديد بدلًا من أن تصبح عبئًا بيئيًا.

ولا يقتصر الابتكار على البنية التحتية. فالذكاء الاصطناعي نفسه قد يصبح جزءًا من الحل. فالنماذج الأكثر تطورًا باتت تُستخدم لتحسين كفاءة شبكات الكهرباء، والتنبؤ بأوقات ذروة الاستهلاك، وإدارة محطات الطاقة المتجددة، وتقليل الفاقد في شبكات المياه، وحتى تصميم مبانٍ أكثر كفاءة في استهلاك الطاقة. أي أن التقنية التي تستهلك موارد هائلة قد تساعد، في المقابل، على استخدام تلك الموارد بصورة أكثر ذكاءً.

لكن هذه الحلول، على أهميتها، لن تكون كافية إذا بقيت محصورة في المبادرات الطوعية للشركات. فالتحول الحقيقي يحتاج إلى إطار سياسي وتشريعي يواكب سرعة الثورة الرقمية. وكما فرضت الدول معايير لانبعاثات السيارات والمصانع ومحطات الطاقة، قد يصبح من الضروري فرض معايير مماثلة على مراكز البيانات، تشمل حدودًا لاستهلاك المياه، ومتطلبات لاستخدام الطاقة النظيفة، وإلزامًا بالإفصاح عن البصمة الكربونية، ومعايير لإعادة تدوير الخوادم والرقائق الإلكترونية التي تتحول بسرعة إلى نفايات رقمية يصعب التخلص منها.

ومن المرجح أن تتحول هذه المعايير خلال السنوات المقبلة إلى عنصر من عناصر المنافسة الدولية. فالدول التي تنجح في الجمع بين الابتكار والاستدامة ستكون أكثر قدرة على جذب الاستثمارات الرقمية طويلة الأجل، بينما قد تواجه الدول التي تتجاهل البعد البيئي ضغوطًا اقتصادية وسياسية متزايدة. وهكذا، لن يكون السباق على الذكاء الاصطناعي سباقًا تقنيًا فقط، بل سباقًا على جودة الحوكمة أيضًا.

لا شيء في هذه الصناعة خفيف كما توحي التسمية

العرب
الجمعة 2026/07/17
السنة 49 العدد 13863

ثلاثة أسلحة تقود إسبانيا نحو نهائي المونديال وحلم النجمة الثانية

لويس دي لا فوينتي مهندس الحقبة الذهبية لـ«الماتادور»

تفصل المنتخب الإسباني لكرة القدم خطوة واحدة لتحقيق نجمته الثانية في كأس العالم بعد ملحمة جنوب أفريقيا سنة 2010، مستندا في ذلك إلى جملة من العوامل، أبرزها حنكة مدربه لويس دي لا فوينتي والانسجام الجماعي للاعبين.

كل ممهدات النجاح متوفّرة

تكساس - تقف إسبانيا على أعتاب حصد لقبها المونديالي الثاني بعد مرور 16 عاماً على التتويج الأول، وذلك حين تواجه الأرجنتين يوم الأحد المقبل في المباراة النهائية لمونديال 2026، مستندة إلى توليفة فريدة لا تعتمد على سطوة النجم الواحد كما هو حال المنافسين، بل على هوية جماعية قادتها إلى العودة إلى القمة العالمية من جديد.

ويرتكز هذا النجاح الاستثنائي لكتيبة المدرب لويس دي لا فوينتي على ثلاثة أسباب رئيسية، وهي أن المنظومة الجماعية هي النجم الحقيقي للفريق وليس لامين يامال بمفرده، والسبب الثاني هو القوة والصلابة الدفاعية الاستثنائية حيث استقبل مرمى الفريق هدفا واحدا طوال البطولة.

> لويس دي لا فوينتي يقود إسبانيا مستندا إلى سجل إعجازي، حيث خاض 48 مباراة دولية، ولم يخسر سوى ثلاث مباريات فقط

أما السبب الثالث فهو القيادة الفنية المميزة للمدرب لويس دي لا فوينتي الذي يمتلك سجلاً خالياً من الهزائم في المباريات الكبرى ويمتاز بعلاقته القوية مع اللاعبين منذ أن كانوا في منتخبات الشباب.

ورغم أن الواعد لامين يامال، البالغ من العمر 19 عاماً، يحظى بالاهتمام الأكبر، فإن تأثيره لا يقارن بالسطوة الفردية التي يفرضها ليونيل ميسي مع الأرجنتين، أو كيليان مبابي مع فرنسا.

وعبر دي لا فوينتي عن هذه الفلسفة عقب الفوز على فرنسا في الدور قبل النهائي بهدفين دون رد قائلاً "لقد لعبنا ضد أحد أفضل المنتخبات الوطنية، لكن كان علينا مواجهة الفريق الأفضل. نحن فريق واحد".

وتأهلت إسبانيا للنهائي رغم اكتفاء يامال بتسجيل هدف واحد وصناعة آخر طوال مشواره في البطولة، حيث برزت أسماء أخرى مثل ميكيل أويارزابال الذي سجل هدفه الخامس في البطولة من ركلة جزاء ضد فرنسا، والبديل الذهبي ميكيل ميرينو الذي أحرز أهداف الفوز القاتلة ضد البرتغال وبلجيكا.

وأشاد المدرب بهذه الروح الجماعية، حيث قال "نحن جميعاً نعمل من أجل تحقيق نفس الهدف، وليس هدف فرد واحد فقط. لم يسبق لي أن عشت مع مجموعة نموذجية كهذه، سواء داخل الملعب أو خارجه. خلال 47 يوماً معاً، لم نواجه مشكلة واحدة".

ووصلت إسبانيا إلى النهائي بعدما خاضت سبع مباريات في النسخة الحالية للمونديال المقام في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، ولم تهتز شباكها سوى مرة واحدة.

ورغم السخرية التي واجهت الفريق بعد التعادل السلبي في المباراة الافتتاحية أمام الرأس الأخضر، فإن المنظومة الدفاعية أثبتت صلابة خارقة، ولم ينجح سوى منتخب بلجيكا في دور الثمانية في اختراقها وتسجيل الهدف الوحيد في شباك الماتادور.

وحطم الحارس يوناي سيمون رقماً قياسياً صامداً منذ 36 عاماً باسم الإيطالي والتر زينجا، بعدما حافظ على نظافة شباكه لـ649 دقيقة متتالية، بفضل جدار دفاعي حديدي يقوده رودري والواعد باو كوبارسي الذي حد تماماً من خطورة هجمات المنافسين.

ويقود دي لا فوينتي إسبانيا مستنداً إلى سجل إعجازي؛ فمنذ توليه المهمة خاض 48 مباراة دولية، ولم يخسر سوى ثلاث مباريات فقط، ولم يتلق أي هزيمة في الوقت الأصلي بالبطولات الكبرى منذ مارس 2023، باستثناء خسارة نهائي دوري الأمم الأوروبية بركلات الترجيح أمام البرتغال.

وعلق دي لا فوينتي على تطور مستوى فريقه قائلا "ما زلت مندهشاً مما يستطيع هذا الفريق تحقيقه. نحن نواصل التحسن من مباراة إلى أخرى، ومن بطولة إلى أخرى. الأمر لا يتعلق بمجرد الحظ، بل هو الالتزام والموهبة والتضحية والرغبة في أن نصبح نسخة أفضل من أنفسنا".

ونجح دي لا فوينتي في غرس هذه القيم في نفوس لاعبيه منذ أن كانوا شباباً في منتخبات الفئات السنية التي أشرف عليها لـ13 عاماً، حيث قاد رودري وميرينو إلى التتويج بلقب كأس أمم أوروبا تحت 19 عاماً في 2015، وحصد اللقب الأوروبي تحت 21 عاماً في 2019 بمشاركة أويارزابال ودافي أولمو.

وعبّر المدافع الإسباني بيدرو بورو، صاحب الهدف الثاني في شباك فرنسا، عن امتنانه الكبير للمدرب قائلاً "بالطبع، لم أكن لأتخيل أن ألعب في كأس العالم بهذا الشكل. لكنني أدين بهذا أيضاً لزملائي وللمدرب الذي آمن بي منذ اللحظة الأولى، ليس فقط في كأس العالم هذه، ولكن منذ شاركت معه لأول مرة مع منتخب تحت 21 عاماً".

باتت إسبانيا على بعد مباراة واحدة فقط من التتويج بلقب كأس العالم من جديد، وذلك عقب تخطيها عقبة فرنسا بهدفين دون رد في الدور قبل النهائي لمونديال 2026، لتضمن مقعداً في المباراة النهائية للمرة الثانية في تاريخها، وهو ما يعكس النجاح الكبير لحقبة المدرب لويس دي لا فوينتي.

ومنذ توليه المسؤولية في ديسمبر 2022، لم يتوقف المدرب المحنك عن حصد الألقاب، إذ قاد الماتادور إلى التتويج بدوري الأمم الأوروبية في عام 2023، ثم كأس الأمم الأوروبية (يورو 2024)، والوصول إلى نهائي دوري الأمم عام 2025، وتأتي الآن الفرصة الذهبية لإضافة اللقب الأغلى في كرة القدم إلى سجل إنجازاته. ويرتكز هذا النجاح على سنوات طويلة قضاها المدرب في تطوير المواهب بقطاعات الناشئين في إسبانيا، إلى جانب أسلوبه القيادي المميز، وهو ما تحدث عنه مانولو خيمينيز وتيتو بلانكو وسانتي دينيا وفرناندو هييرو للموقع الرسمي للاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا).

وتزامل مانولو خيمينيز مع دي لا فوينتي كلاعبين في صفوف إشبيلية، قبل أن يجمعهما العمل مجدداً في قطاع الناشئين بالنادي الأندلسي.

ويقول خيمينيز عنه "لويس شخص رائع وزميل مذهل قبل أي شيء، كان يملك دائماً الرغبة في مساعدة اللاعبين الشباب وتطوير نفسه، وقد بذل مجهودات خارقة ولم يستسلم أبداً ليستحق كل ما وصل إليه الآن على رأس القيادة الفنية للكرة الإسبانية".

أما تيتو بلانكو، فقد التقى المدرب لأول مرة خلال عمله نائباً لرئيس الاتحاد الإسباني عام 2011 أو 2012، حيث طلب منه دي لا فوينتي فرصة عمل في الاتحاد.

فرنسا تبحث عن برونزية تاريخية أمام إنجلترا في مونديال 2026

زيورخ - يتصدر المنتخب الألماني لكرة القدم قائمة المنتخبات الأكثر تواجدا على منصات التتويج ببطولات كأس العالم، بواقع 12 مرة خلال 21 مشاركة، حيث توج بأربعة ألقاب، واحتل الوصافة أربع مرات، وحصد المركز الثالث أربع مرات.

ويأتي المنتخب البرازيلي في المركز التالي بتسع مرات اعتلاءً لمنصة التتويج، بينها حصوله على اللقب خمس مرات، إلى جانب فضيتين وبرونزيتين. ولهذا، ذكر الموقع الإلكتروني الرسمي للاتحاد الدولي لكرة القدم "فيفا" أن مباراة تحديد المركز الثالث في كأس العالم 2026 أمام إنجلترا، المقررة السبت، تكتسب أهمية تاريخية حقيقية بالنسبة لفرنسا.

وفي حال الفوز، سوف يرفع المنتخب الفرنسي رصيده إلى سبع مرات على منصة التتويج في كأس العالم، ليتساوى مع إيطاليا (أربعة ألقاب، ووصافتان، وبرونزية واحدة) والأرجنتين، التي ضمنت أيضا ميداليتها السابعة بغض النظر عن نتيجة النهائي أمام إسبانيا يوم الأحد. كما سيعزز ذلك مكانة فرنسا بين عمالقة تاريخ كأس العالم.

وذكر الموقع الإلكتروني للاتحاد الدولي لكرة القدم "فيفا" أنه يتعين على المنتخب الفرنسي أولا أن يجد القوة الذهنية اللازمة لتجاوز خيبة الأمل التي خلفتها الخسارة بهدفين نظيفين أمام إسبانيا في الدور قبل النهائي.

ورغم استمرار الشعور بالإحباط، أكد لاعبو المدرب ديدييه ديشان سريعا عزمهم على إنهاء مشوارهم في أميركا الشمالية بصورة إيجابية.

وقال المدافع ماكسنس لاكروا لموقع الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) "بالطبع نريد إنهاء البطولة بصورة إيجابية. ليس من طبيعتنا أن نستسلم في هذه المباراة الأخيرة. لقد سافر الكثير من المشجعين آلاف الكيلومترات لمساندتنا، ونحن مدينون لهم أيضا. لا نريد أن نغادر من الباب الخلفي".

وردد ديشان المشاعر نفسها، رغم أنه لم ينجح في إخفاء خيبة أمله.

وقال "لا تزال أمامنا مباراة أخرى. أشعر بفخر كبير بما حققناه في ظروف صعبة. وإذا كان هناك شيء خرجنا به، فهو المزيد من الرغبة والأمل والطموح".

ويبقى السؤال الأهم الآن: هل يستطيع منتخب فرنسا تجاوز إحباطه واستعادة المستوى الذي جعله أحد أبرز منتخبات البطولة على مدار أكثر من شهر في أميركا الشمالية؟

وقال ريان شرقي، عقب مباراة الدور قبل النهائي "سنرى ما سيحدث عندما تبدأ المباراة يوم السبت. حاليا، كل ما نريد فعله هو النسيان".

وسبق لفرنسا أن نجحت في تجاوز الإخفاقات. فقد استعاد جيل جوست فونتين وريمون كوبا توازنه ليفوز على ألمانيا الغربية 6 – 3 في مباراة المركز الثالث عام 1958، محققا أول ميدالية لفرنسا في تاريخ كأس العالم.

> في حال الفوز على إنجلترا، سوف يرفع المنتخب الفرنسي رصيده إلى سبع مرات على منصة التتويج في كأس العالم

أما جيل ميشيل بلاتيني، فلم ينجح في تكرار ذلك عام 1982 بعد الخسارة 2 – 3 أمام بولندا، لكنه عوض الإخفاق بعد أربع سنوات بالفوز على بلجيكا 4 – 2 بعد التمديد ليحصد الميدالية البرونزية.

وبعد التتويج بلقب كأس العالم عامي 1998 و2018، والحصول على الوصافة في نسختي 2006 و2022، يتطلع منتخب فرنسا الآن إلى إضافة ميدالية برونزية جديدة إلى سجله، حتى وإن لم تكن هي الميدالية التي كان يأمل في المنافسة عليها عند وصوله إلى أميركا الشمالية.

وسوف تحمل هذه البرونزية أهمية خاصة، حيث ستكون ختاما مناسبا لمسيرة ديشان مع منتخب فرنسا في كأس العالم، والتي امتدت إلى 26 مباراة.

وقال لاكروا "رغم أن الأمر صعب لأن هدفنا كان بلوغ نهائي كأس العالم، فإن هذه المباراة مهمة، خاصة أنها ستكون أيضا المباراة الأخيرة لمدربنا".

الديك الفرنسي سيخوض المباراة الترتيبية

منافسة شرسة على الحذاء الذهبي لكأس العالم

واشنطن - يشتد السباق على جائزة الحذاء الذهبي لهداف كأس العالم 2026 لكرة القدم حتى اللحظات الأخيرة من البطولة المقامة في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، وتختتم منافساتها يوم الأحد المقبل.

ومن المقرر أن يلتقي منتخبا إنجلترا وفرنسا منتصف ليل السبت في مباراة تحديد الفائز بالميدالية البرونزية، بينما ستلعب الأرجنتين النهائي الثاني على التوالي بمواجهة إسبانيا بطل أوروبا، يوم الأحد المقبل.

ويتنافس الرباعي جود بيلينغهام، وهاري كين، وكيليان مبابي، وليونيل ميسي جميعا على الفوز بجائزتي الحذاء الذهبي لأفضل هداف والكرة الذهبية لأفضل لاعب.

وبدأت الإثارة بشكل مبكر عندما سجل الأرجنتيني ميسي ثلاثية تاريخية في شباك الجزائر بعد ساعات قليلة من تسجيل الفرنسي كيليان مبابي ثنائية رائعة ضد السنغال في الجولة الأولى من دور المجموعات من بطولة كأس العالم.

> الإثارة بدأت بشكل مبكر في المونديال عندما سجل الأرجنتيني ليونيل ميسي ثلاثية تاريخية في شباك الجزائر

وفي اليوم التالي، سار كين وبيلينغهام على نفس الخطى بهز الشباك في فوز إنجلترا بنتيجة 4 – 2 على كرواتيا.ومنذ ذلك الحين، انخرط هذا الرباعي في سباق تاريخي من أجل الفوز بجائزتي الحذاء الذهبي والكرة الذهبية، اللتين تُمنحان لهداف البطولة وأفضل لاعب في المحفل العالمي الكبير.

وتكرر السيناريو مع بيلينغهام وكين وميسي بعد فوز الأرجنتين على إنجلترا بنتيجة 2 – 1 في المواجهة الثانية بقبل النهائي.

ولكن ميسي كان المستفيد الأكبر من هذه الجولة حيث قدم تمريرتين حاسمتين، ليضمن التربع على صدارة قائمة الهدافين، لكن تبقى جميع الاحتمالات مفتوحة في ظل تبقي مباراتي البرونزية والتتويج بالكأس.

العرب
الجمعة 2026/07/17
السنة 49 العدد 13863

دقات المهباج تحكي تاريخ القهوة العربية

في كل دقة يطلقها المهباج، وفي كل فنجان قهوة يقدم للضيف، تختبئ حكاية عربية عريقة تختصر معاني الكرم والانتماء والوفاء. فالقهوة العربية ليست مجرد مشروب تقليدي، بل طقس اجتماعي متوارث يحمل ذاكرة الأجيال، ويواصل حضوره بين الماضي والحاضر كرمز للضيافة والأصالة.

حكاية تراث لا يندثر

دمشق - تتعاقب دقات المهباج بإيقاع خشبي منتظم، فيما تنتشر رائحة البن المحمص الممزوج بالهال، وتستقر الدلال قرب النار في انتظار الضيوف، في مشهد قديم ما زال يتكرر في المجالس وبيوت الشعر، حاملاً طقساً اجتماعيا يبدأ بتحضير القهوة وشربها، ليختزن معاني الترحيب والاحترام والأمان والوفاء.

وتواصل القهوة العربية حضورها بوصفها أحد أبرز رموز الهوية الثقافية العربية، بعد إدراجها عام 2015 على القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية في منظمة اليونسكو، لما تمثله من منظومة اجتماعية تتجاوز كونها مشروباً تقليدياً، ويحتل المهباج مكانة خاصة في هذه المنظومة، باعتباره أداة لإعداد القهوة ورمزاً للأصالة والضيافة في البيئات البدوية.

وأوضح الباحث والمهتم بالشؤون البدوية فواز صنديد، في تصريح لوكالة الأنباء السورية (سانا)، أن إعداد القهوة العربية يمر بمراحل دقيقة توارثتها الأجيال، تبدأ بتنقية حبوب البن، ثم تحميصها في المحماس حتى تكتسب لونها ورائحتها المميزة.

وبعد أن تبرد الحبوب، تطحن في المهباج المصنوع يدويا من الخشب الصلب، ويضاف إليها الهال وفق العادة المتبعة في كل منطقة.

وتستكمل عملية التحضير باستخدام مجموعة من الدلال، لكل واحدة منها وظيفة محددة؛ فتخصص دلة الخمرة لغلي الماء، وتستخدم دلة التلقيمة لإضافة البن وتركه يغلي، ثم تصفى القهوة في دلة المزلة التي تقدم منها إلى الضيوف.

ويعكس تعدد الأدوات والمراحل عناية أهل القهوة بجودة إعدادها، إذ تبدأ الضيافة قبل وصول الفنجان إلى يد الضيف، من نظافة الأدوات وحسن التحميص والطحن إلى ضبط مقدار البن والهال ووقت الغلي.

توضح منظمة اليونسكو في الملف الخاص بالقهوة العربية أن إعدادها وتقديمها واستهلاكها تمثل تعبيراً عن الضيافة والكرم وآداب الاجتماع، وأن هذه الممارسة تنتقل داخل الأسر والمجتمعات من جيل إلى آخر، كما يتعلم الصغار اختيار حبوب البن وطرائق التحضير ومراسم التقديم بمرافقة الكبار، وهو ما يجعل القهوة معرفة اجتماعية حية، لا وصفة ثابتة أو أداة تراثية معروضة للزينة.

ولا ينفصل إعداد القهوة عن طريقة تقديمها، إذ يتولى المقهوي أو راعي الدلة المرور على الضيوف وفق قواعد متوارثة، فيقف على مسافة مناسبة، ويحمل الدلة والفناجين بعناية، ولا يتجاوز أحد الجالسين إلا بعد اعتذاره عن الشرب.

وتصب القهوة بكمية لا تتجاوز عادة نصف الفنجان، بما يتيح للضيف تناولها وهي ساخنة، ويمنح المضيف فرصة تكرار الضيافة.

ويلتزم الضيف بدوره بآداب المجلس، فيتناول الفنجان بيده اليمنى، ويتجنب وضعه على الأرض أو الطاولة إلا عند الضرورة، كما يمتنع عن النفخ في القهوة أو إصدار صوت أثناء احتسائها، تعبيراً عن احترام المجلس وصاحب الدار.

وأشار صنديد إلى أن المضيف، أو المعزّب، يتذوق أول فنجان بنفسه، ويعرف في بعض البيئات البدوية باسم فنجان الهيف، في دلالة على مسؤوليته عن جودة القهوة وسلامتها وطمأنة ضيوفه.

ويليه فنجان الضيف، وهو أول ما يقدم للقادم ويحمل معنى الترحيب والأمان، أما فنجان الكيف فيرتبط بالاستمتاع بطعم القهوة وصفاء المجلس، بينما يرمز فنجان السيف إلى العهد والوفاء والاستعداد للوقوف إلى جانب المضيف في الشدائد، ولا يشربه وفق العرف إلا المقربون أو من تجمعهم بصاحب الدار روابط وثيقة.

وتختلف بعض التسميات والتفاصيل من منطقة إلى أخرى، لكن المعنى المشترك يبقى ثابتاً: الفنجان رسالة اجتماعية قبل أن يكون وعاء للقهوة.

ولا تقتصر وظيفة المهباج على طحن البن والهال، إذ ارتبط صوته في الذاكرة البدوية بالدعوة إلى الضيافة، وكانت دقاته الصباحية، المعروفة باسم العزّام، تصل إلى الجيران والمارة لتعلن أن نار القهوة قد أوقدت وأن المجلس مفتوح للقادمين.

ويحتاج الدق على المهباج إلى مهارة في التحكم بقوة الضربات وتوقيتها، حيث يصنع الدقاق إيقاعات منتظمة تتقاطع فيها وظيفة الطحن مع الحس الموسيقي، فتتحول الأداة الخشبية إلى ما يشبه آلة إيقاعية ترافق تحضير القهوة.

وكان سماع هذه الدقات يمنح المسافر والعابر شعوراً بالطمأنينة، إذ يعرف أن في المكان بيتاً يستقبل الضيف، ويوفر له القهوة والمجلس والأمان. ورغم انتشار المطاحن الكهربائية وآلات إعداد القهوة الحديثة، فإن المهباج ما زال حاضرا في عدد من المجالس وبيوت الشعر والفعاليات التراثية، لا بوصفه أداة قديمة معروضة للزينة، وإنما علامة حية على استمرار العادات التي نشأت حوله.

ويرى صنديد أن صون هذا الموروث يتطلب أكثر من الاحتفاظ بالأدوات القديمة، من خلال تعريف الأجيال الجديدة بمراحل إعداد القهوة وآداب تقديمها، وشرح المعاني الاجتماعية المرتبطة بالدلال والفناجين ودقات المهباج. ودعا إلى تنظيم دورات وبرامج تدريبية وفعاليات تراثية تتيح للشباب ممارسة هذه العادات والتعرف إلى صناعة المهباج واستخدامه، بما يساعد على انتقال المعرفة من أصحاب الخبرة إلى الأجيال الجديدة.

جدارية ضخمة تحتفي بجورجيو أرماني

روما - احتفت مدينة بياتشنزا الإيطالية بمصمم الأزياء العالمي جورجيو أرماني، وذلك عشية احتفاله بعيد ميلاده الثاني والتسعين، من خلال تدشين لوحة جدارية عملاقة تحمل صورته على واجهة أحد المباني في حي فارنيزيانا، في مبادرة تهدف إلى تكريم أحد أبرز الأسماء التي أسهمت في ترسيخ مكانة الموضة الإيطالية على الساحة العالمية، وإبراز ارتباطه الوثيق بالمدينة التي ولد فيها.

وتبلغ أبعاد اللوحة الجدارية 27 مترا ارتفاعا و11 مترا عرضا، وقد أنجزها الفنان الحضري الإيطالي أنطونيو كوتيشيا، المعروف فنيا باسم "كوتي"، الذي يُعد من أبرز فناني فن الشارع في إيطاليا. واختار الفنان تقديم رؤية معاصرة لشخصية أرماني، بعيدا عن الصور الرسمية أو الكلاسيكية المعتادة، حيث ظهر المصمم بملامح تعكس روح الإبداع والحلم والطموح، في محاولة لإبراز الجانب الإنساني والفني في شخصيته.

وأوضح كوتيشيا أن الهدف من العمل لم يكن مجرد رسم بورتريه لشخصية مشهورة، بل تقديم رسالة بصرية تحفز الشباب على الإيمان بأحلامهم والسعي إلى تحقيقها بالإبداع والعمل الجاد، مؤكدا أن جورجيو أرماني يمثل نموذجا للنجاح الذي بدأ من جذور محلية ليصل إلى العالمية، دون أن يفقد ارتباطه بمسقط رأسه أو بهويته الإيطالية.

من جهتها أكدت عمدة مدينة بياتشنزا، كاتيا تاراسكوني، أن اللوحة الجدارية تمثل أكثر من مجرد عمل فني، فهي تجسد العلاقة العميقة التي تربط أرماني بالمدينة، وتحول أحد الفضاءات العامة إلى معلم ثقافي يحمل قيما تتعلق بالذاكرة والجمال والإلهام. وأضافت أن هذا المشروع يندرج ضمن جهود البلدية لتعزيز حضور الفن في الفضاء العام، وإبراز الشخصيات التي تركت بصمة مميزة في تاريخ المدينة وإيطاليا.

ويُعد جورجيو أرماني أحد أشهر مصممي الأزياء في العالم، إذ أسس علامته التجارية التي أصبحت مرادفا للأناقة الإيطالية الراقية، ونجح على مدى عقود في ابتكار أسلوب تصميمي مميز جمع بين البساطة والرقي، ما جعله يحظى بمكانة استثنائية في عالم الموضة والأعمال. ويأتي هذا التكريم ليؤكد تقدير مدينته الأم لمسيرته الطويلة، واعتزازها بإرثه الإبداعي الذي ألهم أجيالا من المصممين والفنانين في العالم.

«كلام عينيه» تمنح شيرين رقما قياسيا عالميا

القاهرة - حققت أغنية "كلام عينيه" للفنانة شيرين عبدالوهاب إنجازًا جديدًا بانضمامها إلى موسوعة غينيس للأرقام القياسية، بعدما حققت نجاحًا استثنائيًا على قوائم بيلبورد العربية.

وجاء هذا الإنجاز بعد تصدر الأغنية قائمة "بيلبورد العربية لأفضل 100 أغنية" لمدة 19 أسبوعا، موزعة على ست فترات مختلفة، وذلك خلال الفترة الممتدة من 16 ديسمبر 2023 حتى 19 أبريل 2025.

وواصلت شيرين تألقها بتصدرها قائمة "بيلبورد العربية لأفضل 100 فنان" لمدة 42 أسبوعا حتى 30 مايو 2025. كما احتلت المراكز الأربعة الأولى في القائمة منذ انطلاقها في 16 ديسمبر 2023، قبل أن تستعيد الصدارة خمس مرات، كان آخرها لأربعة أسابيع متتالية بدأت في 15 مارس 2025.

من جانبه أعرب الملحن مدين عن سعادته بهذا الإنجاز، مؤكدًا أن نجاح أغنية "كلام عينيه" يعد من أجمل وأغرب النجاحات التي حققها. ووصف دخول الأغنية إلى موسوعة غينيس بأنه تكريم كبير من الله، معربا عن فخره بتسجيلها رقمًا قياسيًا تاريخيًا.

وحرص مدين على تهنئة شيرين عبدالوهاب، مشيدًا بمكانتها الفنية الكبيرة ومحبة الجمهور لها، كما وجه التهنئة إلى الشاعر أمير طعيمة، والموزع والمنتج الموسيقي حسن الشافعي، باعتبارهما شريكين في هذا النجاح.

وكشف مدين أيضا عن مفاجأة جديدة تخص الأغنية، مؤكدًا أن "كلام عينيه" تستعد لتحقيق انتشار عالمي خلال الفترة المقبلة بطريقة مختلفة، دون الإفصاح عن المزيد من التفاصيل.

وعلى صعيد آخر تواصل شيرين عبدالوهاب استعداداتها لإحياء حفل غنائي جديد يوم 7 أغسطس المقبل في بورتو جولف العلمين، حيث ستلتقي جمهورها في واحدة من أبرز حفلات موسم الصيف.

تركي يصنع الفن من الخردة

أنقرة - في نموذج ملهم يجمع بين الإبداع الفني والوعي البيئي، نجح فني الحواسيب التركي المتقاعد زكريا آلاغوز في تحويل النفايات والخردة إلى أعمال فنية تزين محيط البناية التي يقطنها في قضاء تشايجوما بولاية زونغولداق شمال غربي تركيا، مقدمًا تجربة تثبت أن المواد المهملة يمكن أن تتحول إلى عناصر جمالية تحمل رسائل بيئية وإنسانية.

آلاغوز، البالغ من العمر 45 عامًا، والمتزوج والأب لطفلين، لم يكتشف شغفه بالفن بعد التقاعد، بل تعود بداياته إلى سنوات الطفولة، حين كان يصنع نماذج مصغرة باستخدام عبوات مواد التنظيف الفارغة. ومع مرور الوقت، ظل هذا الشغف يرافقه حتى جاءت جائحة كورونا، التي منحته فرصة لتحويل هوايته إلى مشروع متكامل قائم على إعادة التدوير.

واختار آلاغوز قبو مبنى "ألماس" المؤلف من ثلاثة طوابق، في حي تشاي، ليكون ورشته الفنية. وعلى مساحة لا تتجاوز 40 مترًا مربعًا، يقضي يوميًا ساعات في ابتكار مجسمات من المواد المستهلكة، مستندًا إلى مفهوم "صفر نفايات" الذي يهدف إلى تقليل المخلفات والاستفادة منها بدل التخلص منها.

ومن داخل هذه الورشة المتواضعة، تمكن من إنتاج نحو 70 مجسمًا فنيًا باستخدام قطع الخردة والأدوات المنزلية القديمة. ومن أبرز أعماله دبابة صنعها من الوحدة الخارجية لجهاز تكييف، ومروحية من شفاط مطبخ، ونخلة من إطار سيارة وأنابيب مياه، وبجعة من مروحة قديمة، إلى جانب مجسم إنسان من مكنسة كهربائية، وباب على هيئة قلم من أنابيب الصرف الصحي، فضلًا عن مجسمات للصبار وأعمدة إنارة وبئر مياه وإبداعات أخرى تعكس خيالًا واسعًا وقدرة على إعادة توظيف المواد المهملة.

صباح العرب

علي قاسم
كاتب سوري

فن الانتحار الكروي!

في كرة القدم، هناك فرق بين أن تخسر لأنك ضعيف، وأن تخسر لأنك اخترت أن تكون ضعيفًا. وهذا ما فعله المنتخب الإنجليزي في لقائه الأخير مع الأرجنتين، حين قرر أن يكتب فصلًا جديدًا في كتاب "فن الانتحار الكروي".

دخل الإنجليز المباراة بشجاعة نسبية، سجلوا هدفًا في الشوط الأول، ثم جلسوا على ذلك الهدف كما يجلس موظف بائس على كرسيه المهترئ في مكتب حكومي، مقتنعًا بأن الإنجاز قد تحقق وأن اليوم يمكن أن ينتهي بسلام. لكن كرة القدم لا تعرف هذا النوع من الكسل؛ فهي لعبة لا ترحم من يظن أن الدقيقة الخامسة والأربعين هي ساعة التقاعد.

في الشوط الثاني، تحوّل الإنجليز إلى فرقة موسيقية تعزف لحنًا واحدًا: الدفاع، الدفاع، ثم الدفاع. لكن أي دفاع؟ دفاع مرتبك، متراجع، أشبه بباب خشبي قديم في مواجهة إعصار. الأرجنتين، بذكائها المعتاد، لم تحتج إلى أكثر من بعض الضغط والتمريرات السريعة لتفتح الباب، تدخل، وتجلس على الأريكة الإنجليزية بكل أريحية. هدفان في مرمى فريق قرر أن يختبئ خلف نفسه، وكأنهم يقولون: "خذوا الفوز، نحن اكتفينا بالتصفيق".

الهزيمة هنا ليست مجرد نتيجة، بل هي عقوبة طبيعية لفريق يظن أن كرة القدم لعبة حسابية: سجل هدفًا، ثم أغلق الدكان. لكن دكان المنتخب الإنجليزي كان بلا قفل، بلا حارس، وبلا عقل. الأرجنتين لم تفعل شيئًا خارقًا، بل فقط استغلت الفراغ الذي تركه الإنجليز حين قرروا أن يلزموا أماكنهم أمام مرمى الحارس الإنجليزي ويصبحوا ظلًا باهتًا لأنفسهم.

المدرب الإنجليزي بدا كأنه استمد توجيهاته من كتاب قديم بعنوان "كيف تحافظ على هدفك الوحيد"، لكنه نسي أن الكتاب كتب في زمن الأبيض والأسود، حين كانت الكرة أثقل من الطوب واللاعبون يركضون بدخان السجائر في رئاتهم. أما اليوم، فالتراجع بلا خطة هو انتحار جماعي، والإنجليز نفذوه بإتقان.

الجماهير التي صفقت في الشوط الأول، وجدت نفسها في الشوط الثاني أمام عرض كوميدي أسود: فريقها يركض للخلف، يترك الكرة للخصم، ويبدو كأنه يشارك في مسابقة "من يستطيع الاختفاء أسرع". وعندما جاء الهدفان الأرجنتينيان، لم يكن أحد متفاجئًا، بل كان الأمر أشبه بفاتورة كهرباء متأخرة: الجميع يعرف أنها ستأتي، فقط لا أحد يعرف متى.

الهزيمة المستحقة هنا ليست مجرد عنوان، بل هي وصف دقيق لحالة فريق قرر أن يختبئ من كرة القدم نفسها. الإنجليز لم يخسروا لأن الأرجنتين كانت خارقة، بل لأنهم اختاروا أن يكونوا كومبارسًا في مسرحية بطولية أرجنتينية. لقد دخلوا الملعب بوجه المنتصر، وخرجوا بوجه المهزوم الذي يعرف جيدًا أنه جنى ما زرع.

في النهاية، يمكن القول إن المنتخب الإنجليزي قدّم درسًا مجانيًا للعالم: إذا أردت أن تخسر، فلتخسر بكرامة، لا بالانسحاب إلى الخلف وكأنك جندي يرفع الراية البيضاء قبل أن تبدأ المعركة. الأرجنتين لم تنتصر فقط بهدفين، بل انتصرت على عقلية كاملة، عقلية تقول "لنهاجم دقيقة، ثم لنختفِ تسعين".

وهكذا، خرج المنتخب الإنجليزي من الملعب حاملاً لقبًا جديدًا: أبطال الدفاع عن الهزيمة المستحقة. لأول مرة يهزم منتخبًا، شجعته بحماس، دون أن أشعر بالمرارة... مبروك للأرجنتين!